

لماذا نبكي على راشيل ولا نبكي على فاطمة

تقديم فضيلة
الشيخ محمد إبراهيم شقرة

قصص واقعية عن شهيدات فلسطين

بقلم
أحمد علي عوض التعمري

لماذا نبكي على راشيل ؟!
ولا نبكي على فاطمة

قصص واقعية عن شهيدات فلسطين

تقديم صاحب الفضيلة
الشيخ محمد إبراهيم شقرة (أبومالك)

بقلم
أحمد علي عوض التعمري

لماذا نبكي على راشيل ؟!

ولا نبكي على فاطمة



﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ۝٤ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ۝٥ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ۝٦ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ لِيَسُـۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا ۝٧﴾

(الإسراء : ٤-٧)

إهداء...

إلى أبي وأمي الذين ربياني على معاني العزة والكرامة .

إلى زوجتي بنت جنين مدينة الإباء والوفاء .

إلى الأمهات والفتيات اللواتي استشهدن على أرض فلسطين المباركة.

إلى كل أم شهيد وشهيدة قدمت أبناءها فداء لإعلاء كلمة الله .

إلى كل مآذن فلسطين التي تنادي بالتكبير والتهليل .

إلى كل مدينة وقرية ومخيم تقاوم المحتل الغاصب .

إلى كل شيخ وشاب ورجل وامرأة رفع رأسه عالياً بوجه طغيان اليهود .

إلى إخوتي وأحبتي في أرض الأردن وفلسطين .

إلى إخوتي وأحبتي في الأحساء الذين ما فتئوا يساندونني لأشارك أهلي في فلسطين ولو بالكلمة .

قال تعالى :

﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۖ .... ﴾[1]

قول لسماحة الشيخ
عبدالعزيز بن باز رحمه الله

(إن اليهود لا يألون جهداً في إفساد المسلمين في أخلاقهم وعقائدهم ولليهود مطامع في بلاد المسلمين ، وغيرها ولهم مخططات أدركوا بعضها ولا زالوا يعملون جاهدين لتحقيق ما تبقى ، وهم وإن حاربوا المسلمين بالقوة والسلاح واستولوا على بعض أرضهم فإنهم كذلك يحاربونهم في أفكارهم ومعتقداتهم ولذلك ينشرون فيهم مبادىء ومذاهب ونِحَلاً باطلة) [2]

---

(١) المائدة –٨٢

(٢) مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية العدد (٥٩) سنة ١٤٠٣هـ.

تقديم فضيلة الشيخ الوالد
أبي مالك محمد إبراهيم شقرة

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، أما بعد:

فتلكُمْ هي فاطمة، التي زجرَتْ طيور الشُّؤم عن أرض أهلها يوماً، حين أحلَّتْ نفسَها بنفسها بين ظَهْرانَيهم محلَّ عزٍّ. ثَوَّبَتْ فيهم بصوتها الحزين الشاكي، المشحون بالرجاء في طائفة من قومها، علوا سُرُوجَ خيلهم، وعقلُوا أيديهم بلُجُمها، فسمعُوا صوتَها، وقد جُمعَتْ فيه حروفٌ من عِزَّتهم، وغَيْرة من نجدتهم، ووفاء من معين أرواحِهم.. ((وامعتصماه)).

فلم تلبَثْ - وقد أنهَدَهُم ذلك الصوت، في ثنْيات المستقبل البعيد، وأصعدهم في شعاب الآتيات من الأيام الغاشيات، والليالي الكالحات، فلم يكن لهذا الصوت النَّاهدُ هم بدٌّ من أن يقعَ في آذانِ مَن ولاَّهم اللهُ أمْرَ الأُمّة، فما زادُوا عن أن أصَمُّوا آذانهم، كي لا يسمعوا حرفاً منه، وأن يخيطوا أفواههم كي يكون لهم عذرٌ في إبلاسهم، وأن يُطبقوا أجفانهم، فلا يبصروا إلا ما يتخيَّلون من قواصم الذُّلِّ التي أحلَّتْهُم دارَ المهانة، وأنسَتْهم أنَّهم كانوا يوماً من الدهر، على رأسِ الغلَبة العادلَة، فقطعت بهم السبيل الأقوم، وعَميَتْ عليهم من أمامهم (صَنيع أنفسهم) ورُصِدَتْ عليهم من خلفهم بصلَفِ عَدُوِّهم المكار، وكبره المتغطرس الفاجر، وذابَ صوتُ

فاطمة اليوم الذي دَوَّى ، استغاثةً بمعتصم ، فلم يلبَثْ أن أمرَ بخيلٍ أوّلُها عند منبعث ((وامعتصماه)) وآخرها عند دارِ الخلافة ، فانقصعَ رأسُ الرُّوم إلى وراء ، وشَخَصَ بصرُ بعضٍ منهم في ذعرٍ مُذِلٍّ إلى فوق ، وهُطِعَتْ رؤُوسُ فريقٍ آخرين ، في خشوعٍ جَمٍّ خانعٍ إلى أسفل .

بيدَ أنَّ فاطمةَ الأمس ، وقد استوفَتْ حقَّها ؛ آثرَتْ الرحيل بفخرها النَّبيل الواسع عن أرضٍ استبدلَ قومها - وهم يتمتمون باسم : (فاطمة المعتصم) في غشية الهوان الغاشمة - فتأوي بذلك الفخر إلى كهفٍ منيع ، فلا يُسمَع لها حسيس ، ولا يُرى لها ظلٌّ ، فيكون لمن بعدها استبدال الذي هو أدنى بالذي هو خير ، ويغيب صوتُ المعتصم ؛ الذي أنجدَ فاطمةَ الأمس ، في غَوْلِ خمرٍ من أُثقلَتْ رؤُوسهم به ، وثِقْلِ الشهوات المصنوعة لهم على حوافِّ الطرق المتداخلة المتآكلة المطموسة ، فلا تصل بهم إلى السَّبيل التي سار من فوقها صوتُ فاطمة وهي تستغيث بالمعتصم .

بيدَ أنَّ اليأسَ ما ينبغي أن يطرقَ بابَ قلبك يا فاطمةَ اليوم ، فأنت أنت فاطمةُ اليوم ، فإنَّ الحرفَ الذي أضاءَ السَّبيل لكِ بالأمس - وهو نفسه الحرف الذي استقرَّ في أذُنِ المعتصم - لم يغبْ عن الدنيا ، وسيبقى هو الذي يمشي من أمامك إلى أن يرثَ اللهُ الأرضَ ومَن عليها ، إنَّه حرفُ القرآن والسُّنَّة ، ولسوف يأتي اليوم الذي يهيِّئُ اللهُ فيه للأُمّة صلاح الدين جديداً ، يسمع فيه صوتَك يا عزيزتي يا فاطمة . . كما استمع المعتصم لصوت أختك فاطمة ، فتختارينَ صوتَ الاستغاثة الذي تُحبِّين ، والمُستغاثَ به الذي تريدين ، فتلتقيانِ في فرحٍ غامرٍ في ظلِّ سيفِ معتصم ، أو ظلِّ سيف صلاح الدين ، ويومئذ ، لا يكون لـ (راشيل) إلا أن تسرعَ إليكِ بشفاعة حانية شفيقة ، تُزْجيها إلى صلاح الطارف الجديد ، أو إلى المعتصم التَّالد المجيد ، والهجرة والجهاد ماضيان إلى يوم القيامة ، سواءٌ من قريب أم من بعيد .

ولكأنِّي بالابن العزيز أحمد التعمري الذي سطَّرت يراعتُه المشتقّة من نفسه الطيِّبة - العاشقة ترابَ أرضه، وهواءَها، وسلواها - هذا الكتاب، واختار له هذا الاسم اللَّطيف المعبّر عن المأساة ((المأساة الفادحة)) التي جمعَتْ إلى جوفها المظلم الصاخب، ونمطها الرعيب المخيف، شعباً - كلٌّ واحد منهم مأساةٌ ضاحيةٌ في وهج الشَّمس الحارقة، وزمهرير الشتاء العبوس - يرقبُ يوماً تبزغُ شمسُه بشيَة من فرح، يُفْزعه إلى مسقط رأسه، ومَدْرَجة قَدَمه، فيُبصر ويسمع أنَّ حقَّ (راشيل) قد وقعَ في غور من سراب. والله سبحانه يقضي بالحقِّ بين العباد، ويردُّ إلى كلِّ ذي حقٍّ حقَّه، (وسيعلمُ الذين ظلموا أيَّ منقلَب ينقلبون).

أبومالك

محمد إبراهيم شقرة

مقـــدمـــة



إنّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أنّ محمداً عبده ورسوله .

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ۝١﴾ (١)

أما بعد :

بفضل الله ومنته أعددت هذا الكتاب في حق فاطمة (المرأة المسلمة الصابرة والمجاهدة في أرض فلسطين الحبيبة وخاصة الشهيدات منهن) لَعلِّي أكرم ولو بالنزر اليسير هذه الزهرة المعطاء خاصة في هذا الزمان ، الذي انقلبت فيه الموازين فأصبح فيه الصادق كاذباً، والكاذب صادقاً ، والمظلوم ظالماً ، والظالم مظلوماً . . .

فرأيت أن أورد فيه بعض ما كتب عنها لأُنصفها في هذا العالم المليء بالأكاذيب والمغالطات ، في زمن قل فيه المحامون ، والمدافعون عن حقها ، في عالمٍ يدعي الدفاع

(١) (النساء : ١)

عن حقوق الإنسان وحقوق المرأة ، فربما تساعد في تغيير بعض المفاهيم .

أحاول فيه أن أجيب على هذا السؤال الكبير (لماذا نبكي على راشيل ولا نبكي على فاطمة) ، هذا السؤال الذي طرق أُذنيَّ ، وأنا أقلب إبرة المذياع ، فإذا بي أسمع هذا السؤال في إحدى المحطات ، فأوقفت الإبرة مكانها وتسمرت في مكاني وفكرت ملياً في هذا السؤال (لماذا نبكي على راشيل ولا نبكي على فاطمة) ؟ فانتابني شعور بالأسى والحزن .

هو سؤال من صميم معاناتنا اليومية التي تشهد فيها أمتنا التمزيق والتشريد وتنهشها الذئاب من كل صوب . هذا كله في جانب ، وفي جانبٍ آخر ما قرأته عن تلك المرأة المسلمة التي أسرها الرومان وكيف استنجدت وقالت : وامعتصماه ، فوصل الخبر لمسامع أمير المؤمنين المعتصم فهب لنجدتها وجيش لها الجيوش ، فكيف الآن بزماننا الذي تستنجد فيه آلاف النساء المسلمات ولا سامع لهن .

فعقدت العزم مستعيناً بالله ومستلهماً العون على كتابة هذه الوريقات ، مقسّماً مادتها إلى ستة فصول ، تكون معينة للقارىء على استيعاب الموضوع ، والوقوف مع كل فصل وقفة تأمل وتفكر ، لنعلم ونعمل ليكون حجة لنا لا علينا .

الفصل الأول: تمهيد

الفصل الثاني: نساؤنا الأوائل

الفصل الثالث: منارات على الدرب

الفصل الرابع : الخنساوات

الفصل الخامس: معاناة المرأة الفلسطينية

الفصل السادس : ماذا بعد ؟

فكان الفصل الأول تمهيداً للقارىء أما الفصل الثاني فذكرت فيه مواقف من نسائنا الأوائل رضي الله عنهن ورحمهن رحمة واسعة وأسكنهن في فسيح جناته ، وذكرت في الفصل الثالث منارات على الدرب حيث اخترت هذا الاسم لهذا الفصل ، لأنهن فعلاً منارات على الدرب ، وأقصد بهذه العبارة النساء الفلسطينيات اللواتي مشين في درب العزة والشهادة والكرامة وانطلقن نحو جنان الفردوس ، الاستشهاديات ، وفي الفصل الرابع تحدثت عن نساء صنعن المجد وهن نساء من فلسطين سطرن كل معاني البطولة والفداء وسرن في درب الشهادة ، وألحقت في هذا الفصل الشهيدة الطفلة إيمان حجو رحمها الله أدخلها فسيح جناته .

وفي الفصل الخامس تحدثت عن معاناة المرأة الفلسطينية وما تلاقيه من الاحتلال البغيض وذكرت فيه بعض ممارسات العدو الصهيوني تحت عنوان الإرهاب الصهيوني في أرقام . . .

أما الفصل الأخير . . ماذا بعد ، فقد وجهت فيه نداء للمرأة العربية والمسلمة وللإعلاميين لنصرة فاطمة فلسطين المرأة الفلسطينية الصابرة .

وأشكر كل من ساهم في تيسير السبل لخروج هذا الكتاب إلى النور .

واسأل الله العزيز القدير أن يكون هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم .

أحمد علي عوض التعمري

٢٢/ /١٤٢٦هـ

الأحساء - الهفوف

الفصل الأول

تمهيد

تمهيد

في ظل الصراع المحتدم على أرض فلسطين المباركة ، الصراع الأزلي القديم الجديد ، بين أهل الحق وأهل الباطل ، وفي خضم الأحداث الخطيرة التي تمر بها منطقتنا تظل فلسطين محط الأنظار ، ومهوى الأفئدة والقلوب ، حيث تدور هناك معارك بين أهلنا والصهاينة المعتدين ، مرتكبي أبشع الجرائم ضد شعبنا الأعزل ، من قتل وتدمير وتهجير .

وفي ظل كل هذا الظلم والدعم غير المحدود من أعداء الأمة لليهود !! تجد المرأة الفلسطينية نفسها في واقع لا تحسد عليه ، وهي ترى بأم عينيها زوجها يُقتل أمامها والعالم لا حراك له ، وطفلها الذي ربته ورأته يكبر أمام أعينها يوماً بعد يوم ، تغتاله الأيدي الجبانة ، وكل ذلك ويقوم الجبناء بهدم بيتها التي أمضت العمر تبنيه بعرقها حجراً حجراً والعالم ساكن لم يتحرك له جفن . ومن هنا كان لابد لها أن تجد الحل .

فتنهض من بين الركام وتمتشق السلاح لتدافع عن نفسها وعن أسرتها ، في زمن قلَّ فيه المدافعون ، وتستشهد قوافل النساء من بنات فلسطين واحدة تلو الأخرى وليروين بدمائهن تراب فلسطين حتى يكون هذا الدم شاهداً لهن يوم القيامة .

لله درك يا عمة رسول الله ﷺ

في غزوة الخندق حيث الكرب العظيم الذي أحاط بالمسلمين وصَوَّره رب العالمين بقوله : ﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ

ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ ﴾[١]، في تلك الأثناء والحال هكذا إذ اقترب يهودي جبان لعين من أماكن تحصن نساء المسلمين في داخل المدينة ، فإذا بهذه الصحابية الجليلة والأم الرؤوم عمة الحبيب محمد ﷺ صفية بنت عبدالمطلب رضي الله عنها عندما رأته شدّت عليها ثيابها وأخذت عمود فسطاط ، وأختبأت له ثم ضربته حتى صرعته ، ولم تكتف بذلك بل جزّت رأسه ورمته على اليهود فما كان منهم إلا أن قالوا ، ما كان محمد يترك نساءه بغير حراسة .

الله أكبر هكذا نساء المسلمات الأوائل كلٌ مقاتل ومجاهد في موقعه .

موقف زوجة القائد في عين جالوت

(لما استعد الجيشان في يوم الجمعة للقتال ، توقف (قطز) عن القتال فاستغرب الناس ثم أعلن قائلا : إننا لن نقاتل إلا بعد صلاة الجمعة ، ولم تكن عليهم صلاة جمعة حينها ، ولكنه قال : نقاتل بعد صلاة الجمعة حتى يكون لنا دعاء المسلمين في الأرض ، وهذا ما حدث فعلاً فقد قام المسلمون في شتى الأرجاء يدعون لجيش المسلمين .

وبدأ القتال العنيف ، واحمرت الحدق ، وثار الغبار يعلو رؤوس المقاتلين ، ودخل المغول في جيش المسلمين حتى وصلوا إلى خيمة قطز ، وضربوا زوجته " جلنار حب الرمان " ، فصدَّهم المسلمون فتراجعوا عنها ، وطار قطز نحو زوجته فرآها تكاد تموت فقال : " واحبيتاه " ، فقالت : " لا تقل واحبيتاه ، بل قل : وإسلاماه " !

رحم الله تلك المرأة العظيمة ، فقد أدركت أن الحب الأعظم هو حب الله تعالى وهذا الدين العظيم ، فصارت قولتها تلك خالدة تحرك الرجال قبل النساء ، ونرجو من الله أن

---

(١) (الأحزاب : ١٠)

تقتدي نساءنا بها في تعليم الشباب والفتيات قول : "واسلاماه" بدل قول :" واحبيبتاه") .(١)

هنا تعجز الكلمات أن تعبر ، وتقف الأقلام عن الكتابة ، انظر إلى موقف تلك المرأة المسلمة ، التي هي في موقع حساس ، موقع لم تتخذه لهواً ومتاعاً ، تقف إلى جانب زوجها ، وتحضه وتشجعه وتدعمه ، ذلك الزوج الذي أتمنى أن أكون شعرة على صدره ، هذه فاطمة التي يجب أن نبكي عليها ، والتي يجب أن نربي زهراتنا ، وفلذات أكبادنا على سيرتها .

دروس في معنى الإيثار من خنساء فلسطين

وهنا أذكر قصة فاطمة الفلسطينية إحدى خنساوات فلسطين رسمية عايد عرار من بلدة قراوة بني زيد التي تبعد ٢٥ كم شمال غرب مدينة رام الله المحتلة ، حيث سجلت الذاكرة اليومية الفلسطينية جريمة صهيونية جديدة .

عندما بدأ اليهود بإطلاق النار على أهل القرية أصيب الشاب الفلسطيني رامز بجروح خطيرة ، ولم يستطع أحد من أهل القرية أن يذهب ويحاول مساعدته ، إلاّ امرأة عظيمة إنّها أم دعاء لم تستطع أم دعاء أن تقف مكتوفة الأيدي ، أم دعاء التي مضى من عمرها ٣٩ عاما ولها من البنات سبع أصغرهن حنان بنت العامين وأكبرهن دعاء لم تتجاوز ستة عشر عاماً ذنب أم دعاء ، هو أنها حاولت إنقاذ احد أبناء قريتها الذي أصيب برصاصة من النوع الثقيل في منطقة الصدر أطلقها عليه الجنود من مسافة كيلو متر تقريباً بينما كان يقف بجوار عدد من الشبان في ساحة الدوار وسط البلدة .

في هذه اللحظات خرجت أم دعاء من منزلها الذي لا يبعد سوى أمتار عن مكان

(١) فلسطين التاريخ المصور لطارق سويدان ص ١٨٧ .

الحادث ، وبدون تفكير أو تردد تقدمت بشكل سريع نحو رامز وبدأت بسحبه الى الخلف .

وفي هذه الأثناء أصيبت أم دعاء برصاصتين من العيار الثقيل ، الأولى كانت في الفخذ، والثانية كانت في البطن فنفذت من الخلف ، ولم تعد قادرة على الوقوف فسقطت على الأرض ... .

وعندما تقدم بعض الشبان من أم دعاء لتقديم الإسعافات الأولية لها ، كان شيء من القوة لا زال يسري في بدنها فصرخت فيهم تطلب منهم أن يهتموا برامز لأن إصابته أخطر، كانت على ما يبدو تعتقد أنها أصيبت في القدم فقط . رحم الله هذه الأم المعطاء وأثابها خيراً على خير .

﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝﴾[1]

تلك هي حال المرأة الفلسطينية

(حينما تغادر المرأة طوعاً ثوب الأنوثة وترتدي بزة الجهاد، تصبح المعاني أكثر عمقاً تضفي على الطبيعة ألواناً مبتكرة . . لتعيد صياغة المشهد . . وتفرض نفسها في المعادلة عنصراً فعالاً . . حاسماً . . تلك هي حال المرأة الفلسطينية . . أماً أو أختاً أو بنتاً لشهيد . . أسير . . جريح . . مطارد . . زوجة تودع زوجها الشهيد الوداع الأخير بدمعتين الأولى حباً والأخرى فخراً . . ولأنها فلسطينية . . ولأنها تعشق الحياة . .

---

(١) (الحشر - ٩)

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ (١).

استطاعت أن تكتشف العلاقة السرية بين الحياة والموت . . بين الفناء والبقاء . . هكذا كانت الاستشهادية الفلسطينية . .)(٢).

فاطمة التي يجب أن نبكي عليها

فاطمة التي شاركتك أحزانك ، وأفراحك ، فاطمة هي التي حضنتك في حجرها حين كنت رضيعاً ، هي التي تحمّلت كل الآلام لتبقى سعيداً مرتاحاً ، هي التي أرضعتك من ثدييها حينما كنت جائعاً ، هي التي أدفأتك في الشتاء ، فاطمة هي أختك . . خالتك . . ابنتك . . عمتك ، هي كل امرأة مسلمة شريفة عفيفة ، في أي بقعة من بقاع الأرض كانت ، وفي أي زمان ، فاطمة هي الماضي والحاضر والمستقبل .

فاطمة المجاهدة الصابرة التي كانت ترافق كل الجيوش ، تضمد جراحهم تداوي مرضاهم ، وتسقي عطاشهم ، فاطمة التي ما تقدم جيش الفتح إلا كانت في صفه .

فاطمة العروس التي تزف لعريسها في ليلة من أجمل لياليها ، فاطمة التي ربت الأطفال ، علمتهم معنى الوفاء ، ومعنى الحنان ، تجاوزت كل نساء الأرض بل سبقتهن إلى التضحية والفداء ، علمتهن كيف تربي الأم ولدها ، علمتهن كيف تقاتل وتحمي أولادها ، كيف تحمي زوجها ، كيف تحمي أرضها ووطنها وتذود عن دينها .

الوجه المقابل لفاطمة هي راشيل

ولعل الوجه المقابل لفاطمة هي راشيل . . المرأة اليهودية المغتصبة للأرض ، المعتدية على أملاك وحقوق الغير ، وكل امرأة كفرت بدين الله ، وحالفت الشيطان . . . .

(١) (آل عمران : ١٦٩)

(٢) نقلاً عن المركز الفلسطيني للإعلام www.palestine-info

الفصل الثاني

نساؤنا الأوائل

نساؤنا الأوائل

قدوة في الحياة والعمل

بقدر ما تكون القدوة صالحة طاهرة كريمة بقدر ما تُحقق الصلاح والفلاح للمقتدي ، وتَهيِّئه به إلى منازل الفخر والاعتزاز ، ومواقع الشرف والقوّة والكرامة ، وتسلك به طريق السعادة والفلاح ، وسبيل التقدم والعطاء والنجاح .

وقدوةُ المرءِ في الأبطال تجعله ... في مُقلة الدهر عين المقتدى بهم

إنْ سارَ يتبعهم في كل واقعةٍ ... وليس يغرب عن آثار سعيهم

وليس للمرأة المسلمة في حياة النساء قدوة خير من نساء سلفنا الصالح اللواتي كتبن أطهر صفحات الحياة الإيمانية وأنصعها في تاريخ البشرية ، حيث ربين على الفضيلة والقيم الأخلاقية الجليلة ، ونهلن من القرآن الكريم فتمثلن في سلوكهن أخلاقه وآدابه ، وتَبعْنَ سيرة سيد المرسلين في القول والعمل ، وهن في هذا وذاك قد وضعن نصب أعينهن قوله تعالى ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ۝﴾[1][2]

تحت عنوان (المرأة في الحضارة الإسلامية) يقول أحد المفكرين:

(لقد كان للمرأة المسلمة دورها الكبير إلى جانب الرجل في إقامة المجتمع المسلم وبناء

---

(١) (الإسراء آية ٩)

(٢) صفحات نيرات من حياة السابقات لنذير محمد مكي ص ٥ .

الحضارة الإسلامية ، شاركته أعباء حمل دعوة الإسلام ، فتعلمت وعلمت وتفقهت وفقهت . شاركته كل صنوف المحن وألوان الاضطهاد في سبيل الله . . . امتحنت فصبرت ، وابتليت فثبتت .

وشاركته أخطار الحروب ، ومعامع القتال ودروب الجهاد ، وأبلت بلاءً حسناً .

لم تكن المرأة دفينة بيتها كسقط المتاع كما يظن البعض . . . كما أنها لم تكن منطلقةعلى وجهها راكبة رأسها بدون حد أو قيد كما يُراد لها اليوم) (١) .

حُب فوق التصور

أخرج الطبراني عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : لما كان يوم أحد ، حاص أهل المدينة حيصة ، وقالوا : قتل محمد .

حتى كثرت الصوارخ في ناحية المدينة . فخرجت امرأة من الأنصار محرمة فاستُقبلت بأبيها وابنها وزوجها وأخيها ، لا أدري أيهم استُقبِلت به أولاً فلما مرت على أحدهم قالت : من هذا ؟

قالوا : أبوك ، أخوك ، زوجك ، ابنك .

تقول ماذا فعل رسول الله ﷺ ؟

يقولون : أمامك .

حتى دفعت إلى رسول الله ﷺ وسلم فأخذت بناصية ثوبه ، ثم قالت : بأبي أنت وأمي يا رسول الله لا أبالي إذا سلمت من عطب .

وفي رواية قالت له : كل مصيبة بعدك جلل . (٢)

---

(١) صفحات نيرات من حياة السابقات لنذير محمد مكي ص١٧-١٨

(٢) حياة الصحابة ٢/ ٣٣٣

الفتاة الراضية بأمر رسول الله ﷺ

عن أنس رضي الله عنه قال : خطب النبي ﷺ على (جليبيب) امرأة من الأنصار إلى أبيها ، فقال : حتى أستأمر أمها .

فقال ﷺ : (نعم إذاً) .

فانطلق الرجل إلى امرأته ، فذكر لها ، فقالت :

لا ها الله إذن ما وجد رسول الله ﷺ إلا جليبيباً ، وقد منعناها من فلان وفلان .

قال : والجارية في سترها تسمع ، قال : فانطلق الرجل يريد أن يخبر رسول الله ﷺ بذلك . فقالت الجارية : أتريدون أن تردوا على رسول الله ﷺ أمره ، إن كان قد رضيه لكم ؛ فأنكحوه .

قال : فكأنها جلَّتْ عن أبويها .

وقالا : صدقت .

فذهب أبوها إلى رسول الله ﷺ فقال : إن كنت رضيته ؛ فقد رضيناه .

قال ﷺ : (فإنّي قد رضيتُه) .

قال : فزوَّجها . ثمّ فزع أهل المدينة ، فركب جليبيب ، فوجدوه قد قُتِل ، وحوله ناس من المشركين قد قتلهم .

قال أنس رضي الله عنه :

فلقد رأيتها ، وإنَّها لمن أنفق بيتٍ بالمدينة .

وذكر الحافظ أبو عمر ابن عبدالبرِّ في (الاستيعاب) :

أنّ الجارية لمّا قالتْ في خدرها : أتردُّون على رسول الله ﷺ أمره ؟

نزلت هذه الآية : ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ۝﴾[1][2] .

من كرامات آسية امرأة فرعون

عن أبي هريرة – رضي الله تعالى عنه – قال :

إنّ فرعون أوتد لزوجته أربعة أوتاد في يديها ورجليها ، فكانوا إذا تفرّقوا عنها أظلّتها الملائكة ، فقالت :

﴿رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝﴾[3] .

فكُشف لها عن بيتها في الجنة .

وعن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال :

إنّ آسية بنت مزاحم امرأة فرعون كانت تُعذّب ، فإذا انصرفوا أظلّتها الملائكة بأجنحتها ، وترى بيتها في الجنة .[4]

(١) (الأحزاب : ٣٦) .

(٢) تفسير ابن كثير ، ورواه الإمام أحمد في مسنده .

(٣) (التحريم : ١١) .

(٤) التحفة المستطابة ١٣٦ .

إخلاص وحب أم المؤمنين

دخل رسول الله على زوجه خديجة - رضي الله تعالى عنها - يرجف فؤاده مما ألمّ به من الرّوع الذي استلزمته مقابلة المَلَك ، لأوّل مرّة فقال :

(زمِّلوني زمِّلوني) .

فزمَّلوه حتى ذهب عنه الرّوع ، فقال لخديجة -رضي الله تعالى عنها- ، وأخبرها الخبر :

(لقد خشيتُ على نفسي) ، لأنّ الملك غطّه حتى كاد يموتُ ، ولم يكن عليه الصلاة والسلام علم قبل ذلك بجبريل ولا بشكله ، فقالتْ :

كلا ! والله ما يُخزيك الله أبداً ، إنّك لتصل الرَّحم، وتحمل الكَل ، وتُكسبُ المعدوم، وتقري الضيف ، وتعين على نوائب الحق ، فلا يُسلّط الله عليك الشياطين والأوهام ، ولا مِراء أنّ الله اختارك لهداية قومك[1] .

أول شهيدة في الإسلام

كانت سمية بنت خياط أم عمار بن ياسر أسلمت بمكة قديما ، وكانت ممن يعذب في الله عز وجل لترجع عن دينها ، فلم تفعل ، فمر بها يوما أبو جهل ، فطعنها في قُبُلها فماتت ، وكانت عجوزاً كبيرةً فهي أول شهيدة في الإسلام - رضي الله عنها- .[2]

(١) نور اليقين ٣٧

(٢) صفة الصفوة ٢/ ٥٩/ ٦٠

خدمة المرأة المسلمة في ميادين القتال

أخرج البخاري عن أنس بن مالك –رضي الله تعالى عنه– قال : لما كان يوم أحد انهزم الناس عن النبي ﷺ ، قال : ولقد رأيت عائشة بنت أبي بكر وأم سليم –وإنهما لمشمّرتان أرى خدم سوقهما تنقزان[1] القرب – وقال غيرهُ تنقلان القرب – على متونهما ، ثم تفرغانها في أفواه القوم ، ثم ترجعان فتملآنها ، ثم تجيئان فتفرغانها في أفواه القوم .[2]

أم عمارة المرأة المجاهدة

شهدت أم عمارة واسمها نسيبة بنت كعب الأنصارية أُحُداً والحديبية وخيبر وحُنيناً وعُمرة القضاء ويوم اليمامة .

روى عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال :

(ما التفتُّ يميناً ولا شمالاً إلاّ وأراها تقاتل دوني) .

قال الواقدي :

قاتلتْ يوم أحد وجُرحت اثنتي عشرة جراحة ، وداوتْ جُرحاً في عنقها سنةً ، ثم نادى منادي رسول الله ﷺ إلى حمراء الأسد ، فشدّت عليها ثيابها فما استطاعت من نَزْف الدم .

(١) تنقزان : أي يحملانها ، ويقفزان بها وثباً .
(٢) حياة الصحابة ١/ ٣٩٥ ، أحسن المحاسن ١٦٠

وخرجت في خلافة أبي بكر في الردّة ، فباشرت بالحرب بنفسها حتى قتل الله مسيلمة، ورجعت وبها عشر جراحات من طعنة وضرْبة (١) .

ذكر الواقدي :

أنّ نسيبة بنت كعب لما بلغها قتل ابنها حبيب بن زيد على يد مُسيلمة عاهدت الله أن تموت دون مسيلمة أو تقتله ، فشهدت اليمامة مع خالد بن الوليد ومعها ابنها عبدالله ، فقُتل مُسيلمة ، وقُطعت يدُها في الحرب .

وذكر ابن هشام في زيادته من طريق أُم سعد بنت سعد بن الربيع قال : دخلتُ على أُم عمارة ، فقلتُ : يا خالة ، أخبريني .

فقالتْ : خرجت - يوم أحد- ومعي سقاء فيه ماء ، فانتهينا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في أصحابه والدولة والريح للمسلمين ، فلما انهزم المسلمون انحزتُ إلى رسول الله ﷺ فكنتُ أُباشر القتال وأذبُّ عن رسول الله ﷺ بالسيف ، وأرمي بالقوس حتى خلصت الجِراح إليّ .

قالت أم سعيد بنت سعد الربيع :

فرأيت على عاتقها جُرحاً أجوف له غوْر ، فقلتُ: من أصابكِ بهذا ؟

قالت : ابن قمئة . (٢)

---

(١) صفة الصفوة ٢/ ٦٣-٦٤ .

(٢) الإصابة ٤/ ٤١٨ .

أول امرأة مسلمة تركب البحر غازية

قال رسول الله ﷺ في بيت أُم حرام بنت ملحان. . . فاستيقظ ، وهو يضحك ، وقال : (عُرِض عليّ أُناس من أُمتي يركبون ظهر البحر الأخضر[1] كالملوك على الأسرة).

قالتْ: يا رسول الله ، ادع الله أن يجعلني منهم .

ثمّ نام ، فاستيقظ ، وهو يضحك ، فقلتُ: يا رسول الله ، ما يُضحكك ؟

فقال : (عُرض عليّ أُناس من أُمتي يركبون ظهر البحر الأخضر كالملوك على الأسرّة).

قلتُ: يا رسول الله ، ادع الله أن يجعلني منهم .

قال : (أنت من الأوّلين).

قال : فتزوّجها عبادة بن الصامت ، فأخرجها معه ، فلمّا جاز البحر ركبتْ دابة ، فصرعتْها ، فقتلتْها .

قال ابن الأثير : وكانت تلك الغزوة غزوة قبرص ، فدُفنت فيها ، وكان أمير ذلك الجيش معاوية بن أبي سفيان - رضي الله تعالى عنهما - في خلافة عثمان رضي الله عنه في سنة سبع وعشرين .[1]

---

(١) البحر الأخضر : هو البحر الأبيض المتوسط .

(٢) الإصابة ٤/ ٤٤١ .

إحدى بطلات اليرموك

أخرج الطبراني عن مهاجر :

أن أسماء بنت يزيد بن السكن ابنة عم معاذ بن جبل -رضي الله عنها -قتلَتْ يوم اليرموك تسعة من الروم بعمود فسطاط .[1]

العروس الشهيدة

جاء في ترجمة أم حكيم بنت الحارس زوجة عكرمة بن أبي جهل : أنها خرجت مع زوجها إلى غزو الروم ، فاستشهد ، فتزوجها خالد بن سعيد بن العاص . فلما كانت وقعة مرج الصفر أراد خالد أن يدخل بها ، فقالت : لو تأخرت حتى يهزم الله هذه الجموع .

فقال : إن نفسي تحدثني أني أُقتل .

قالت : فدونك .

فأعرس بها عند القنطرة ، فعرفت بها بعد ذلك ، فقيل لها : (قنطرة أم حكيم) .

ثم أصبح فأوْلم عليها ، فما فرغوا من الطعام حتى وافتهم الروم ، ووقع القتال فاستشهد خالد . وشدت أم حكيم عليها ثيابها وتبدّتْ ، وإن عليها أثر الخلوق ، فاقتتلوا على النهر ، فقُتلت أم حكيم يومئذ ، فقَتَلَتْ بعمود الفسْطاط الذي أعرس خالد فيه سبعة من الروم .[2]

---

(١) حياة الصحابة ١/ ٥٩

(٢) الإصابة ٤/ ٤٤٣-٤٤٤

إيثار وعطاء الأم

عن أنس رضي الله عنه أن امرأة دخلت على عائشة -رضي الله عنها- ومعها ابنتان لها ، قال: فأعطتها عائشة ثلاث تمرات ، فأعطت كل واحدة منهما تمرة ، ثم أخذت تمرة لتضعها في فمها ، قال:

فنظرت الصبيتان إليها ، قال: فصدعتها نصفين ، فأعطت كل واحدة منهما نصفاً ، وخرجت ، فدخل رسول الله ﷺ فحدثته عائشة بما فعلت - أو تفعل - المرأة ، قال: (فلقد دخلتْ بذلك الجنّة)(١) .

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه برقم (٢٦٣٠) .

الفصل الثالث

منارات على الدرب

- انتفاضة الأقصى
١- وفاء إدريس
٢- دارين أبو عيشة
٣- آيات الأخرس
٤- عندليب طقاطقة
٥- هبة دراغمة
٦- هنادي جرادات
٧- ريم الرياشي
٨- سناء قديح

انتفاضة الأقصى

انتفاضة الأقصى والمرأة الفلسطينية عنوانان كبيران لمعنى جليل يُسجل للعالم وللدنيا كل معاني التضحية والفداء والكرامة .

(جاءت انتفاضة الأقصى ؛ لتكون ملحمة لجهاد أمة وبطولة شعب ، يحرص جميع فئاته على تقديم التضحيات لتحرير الوطن المحتل .

جاءت انتفاضة الأقصى لتأخذ المرأة الفلسطينية دورها : زوجة لشهيد ، أو رفيقة درب لأسير ، أو أم تربي أطفالها على الجهاد وحب الاستشهاد ، تقدم أبناءها واحداً تلو الآخر فداءً لدين لله .

غير أن المرأة الفلسطينية لم تكتف بهذا الدور ؛ بل أرادت أن تبذل كل طاقتها من أجل الدفاع عن أرضها ودينها ، فحملت لواء التطوع في المستشفيات ، وفي طواقم الإنقاذ ، وجادت بحليها تبرعاً لشراء السلاح والذخيرة ! .

رغم كل تلك التضحيات لم تلبث المرأة الفلسطينية إلا أن تصر على تقديم روحها وحياتها رخيصة في سبيل الله ؛ لتكون وقوداً للانتفاضة ، ونوراً يهدي الحيارى إلى طريق النصر)[١] .

---

(١) نقلاً عن موقع www.islamtoday.net

١- وفاء إدريس

الاسم: وفاء علي إدريس

العمر: ٢٦ سنة

مكان السكن: مخيم الأمعري - رام الله

تاريخ الاستشهاد: ٢٧/ ١/ ٢٠٠٢ م

ليتهم يقدمونني للوطن

(فتاة واسعة العينين ، ذات جمال رائع ، وطول فارع ، كانت باكورة الاستشهاديات . وفاء إدريس ابنة مخيم الأمعري ذات الستة والعشرين ربيعاً التي ظلت ترد خُطّابها متأهبة لعريس أبهى وأجمل لم يكن سوى الوطن ، قالت كلمتها يوم ٢٧ / ١/ ٢٠٠٢ ومضت مخلفة أحد الجنود الإسرائيليين قتيلاً ومائة وأربعين جريحاً حين فجرت نفسها وسط جمع من اليهود في القدس الغربية .

كانت وفاء متطوعة في الهلال الأحمر الفلسطيني ، تكرس وقتها لمداواة جرحى الفلسطينيين الذين يتم نقلهم من مواقع المواجهة ، أصيبت بالرصاص المطاطي الإسرائيلي مرتين ، ولكثرة ما رأت من دماء الفلسطينيين المراقة قررت أن تذيق الصهاينة من نفس الكأس . تروي (اعتماد أبو لبدة) أقرب صديقات وفاء أن الاستشهادية كانت تخاطبها منذ فترة قائلة : ليتهم يقدمونني للشهادة وازداد تكرارها لهذه العبارة في الأيام التي سبقت العملية .

شقت طريقها مشياً على الأقدام إلى شارع القدس

في ذلك اليوم غادرت وفاء مقر عملها في العاشرة صباحاً ، شقت طريقها مشياً على

الأقدام إلى شارع القدس بجانب دوار المنارة في رام الله ، استقلت سيارة أجرة متوجهة إلى القدس المحتلة كانت وجهتها شارع يافا .

نية وفاء كما يؤكد البعض كانت وضع العبوة التي تحملها في المكان ومغادرته ولكنها لسبب غير معروف تأخرت في الوصول إلى الهدف المحدد لوضع العبوة المؤقتة وبالتالي انفجرت وهي تحملها ولم تعلن أي جهة فلسطينية مسئووليتها عن العملية)[(١)]

بطلة سوف يتذكر الإسرائيليون اسمها جيداً

("وفاء علي إدريس" بطلة سوف يتذكر اسمها جيداً الإسرائيليون . والفلسطينيون أيضاً . وكل من يغار على فلسطين ويرفض سياسات شارون الدموية .

فالبطلة خطت بجسدها الطاهر واحدة من أشرف العمليات الاستشهادية في السنوات الأخيرة . والتي أصابت العدو الإسرائيلي بالذهول . لتضحية الفتيات الفلسطينيات بأنفسهن فداء لوطنهن)[(٢)] .

---

(١) نقلاً عن صحيفة البيان الاماراتية للطباعة والنشر .

(٢) نقلاً عن موقع شبكة الفرسان الإسلامية www.forsan.net

٢- دارين أبو عيشة

الاسم : دارين محمد توفيق أبو عيشة

العمر : ٢٢ سنة

مكان السكن : بيت وزن - نابلس

تاريخ الاستشهاد : ٢٧/ ٢/ ٢٠٠٢

المستوى الدراسي : طالبة بالسنة الرابعة بجامعة النجاح

دارين أبو عيشة: اختارت الشهادة على الحاجز بدل الشهادة الجامعية

"لم تكن دارين بالإنسانة العادية ، فقد كانت شعلة من النشاط داخل الكتلة الإسلامية بجامعة النجاح . ملتزمة بدينها وعلى خلق عال" .

بهذه الكلمات وصفت "ابتسام" أختها التي نفذت عملية استشهادية مساء الأربعاء ٢٧/ ٢/ ٢٠٠٢م أمام حاجز عسكري صهيوني في الضفة الغربية . وهو ما أسفر عن إصابة ثلاثة من جنود الاحتلال واستشهاد منفذة العملية واثنين من الفلسطينيين كانا معها .

وتضيف الشقيقة ابتسام : " لم يكن استشهاد "وفاء إدريس" هو دافع دارين للتفكير بالشهادة . فمنذ أكثر من العام كانت تتحدث عن أمنيتها للقيام بعملية استشهادية . وأخذت تبحث عمن يجهزها للقيام بذلك" .

وتقول ابتسام: " ذات مرة توجهت دارين إلى "جمال منصور" القيادي بحركة حماس الذي اغتالته قوات الاحتلال الصهيوني في أغسطس ٢٠٠١ وطلبت منه الانضمام إلى الجناح العسكري لحركة المقاومة الإسلامية حماس. وأعربت عن عزمها القيام بعملية استشهادية. ولكن وجدت صدوداً من حركة حماس، وقال لها الشهيد جمال: (عندما ينتهي الرجال من عندنا سنستعين بكن للقيام بالعمليات الاستشهادية") .

حديثها عن الشهداء والشهادة

لم يقنع هذا الكلام دارين كما تقول شقيقتها ولم ينقطع حديثها عن الشهداء والشهادة. وكانت كثيرة المشاركة في تشييع جثامين الشهداء والمشاركة في المسيرات.

ويرجع المحللون المقربون من حماس سبب رد الشهيد جمال أنه ليس مرتبطاً بالجهاز العسكري لحماس ككل أعضاء المكتب السياسي للحركة كما أن مثل هذه الأعمال يختص بها ذاك الجهاز وهو المعني بتجنيد الاستشهاديين وليس موقفاً سياسياً أو دينياً من تجنيد استشهاديات .

كم تحب الأقصى !

دارين تؤكد في شريط فيديو تم تصويره قبل تنفيذها العملية "أنها قررت أن تكون الشهيدة الثانية بعد وفاء إدريس لتنتقم لدماء الشهداء وانتهاك حرمة المسجد الأقصى".

وأوضحت الشهيدة دارين أن المرأة الفلسطينية كانت وما زالت تحتل الصدارة في الجهاد والمقاومة. داعية كل النساء الفلسطينيات إلى مواصلة درب الشهداء. وقالت: "وليعلم الجبان شارون أن كل امرأة فلسطينية ستنجب جيشاً من الاستشهاديين. ولن يقتصر دورها على البكاء على الابن والأخ والزوج. بل ستتحول إلى استشهادية".

وتشير والدتها الى أنها لاحظت في الليلة السابقة لاستشهاد دارين إكثارها من قيام الليل وقراءة القرآن والصيام والقيام فإنها زادت من ذلك في الليلة التي سبقت استشهادها. ولقد خرجت من البيت ولم تودعني وكانت يومها صائمة".

وتضيف شقيقتها قائلة: "عندما خرجت دارين من البيت قالت: (أنا ذاهبة لشراء كتاب). ثم عادت بعد عدة ساعات. وبعدها خرجت. ولم نعرف إلى أين". وتضيف أنها "في الساعة العاشرة مساء الأربعاء اتصلت عبر الهاتف. وقالت: "لا تقلقوا علي. سأعود إن شاء الله. لا تخافوا وتوكلوا على الله وفي الصباح سأكون عندكم" وكانت هذه آخر كلمات سمعتها منها. وسمعتها والدتي أيضاً.

وتؤكد ابتسام أن دارين لم تكن عضوة في حركة فتح أو كتائب شهداء الأقصى. وأنها كانت من أنشط طالبات الكتلة الإسلامية في جامعة النجاح)[1].

لم يتبق على تخرجها سوى فصل دراسي واحد

(تهافت الناس والصحفيون على منزل الشهيدة دارين محمد توفيق أبو عيشة لمعرفة تفاصيل جديدة حول هذه الفتاة التي قامت بتفجير نفسها أمام حاجز "مكابيم" الإسرائيلي القريب من مستوطنة "موديعين" المقامة على أراضي قرية خربثا.

شقيق الشهيدة توفيق الذي يعمل مدرساً قال: إن أخته دارين كانت فتاة جامعية تدرس الأدب الإنجليزي في جامعة النجاح الوطنية ولم يتبق على تخرجها سوى فصل دراسي واحد. غادرت منزلها صباح يوم الثلاثاء ٢٦/ ٢/ ٢٠٠٢ وقالت إنها ذاهبة عند إحدى صديقاتها لكي تحضر منها كتاباً. وفي ساعات الظهر لم تحضر إلى المنزل كعادتها فازداد قلق الأهل عليها. فاتصل شقيقها توفيق بها عدة مرات فأخبرته أنها خارج نابلس

(١) نقلاً عن موقع شبكة الفرسان الإسلامية بتصرف www.forsan.net

وبسبب الإجراءات الإسرائيلية على الحواجز سوف تضطر للنوم عند إحدى صديقاتها. وأضاف توفيق أنه فوجئ بنبأ استشهاد شقيقته من خلال إحدى القنوات الفضائية وأنه أصيب بالدهشة.

كانت تتألم من القمع الإسرائيلي لأبناء شعبها

وكانت دارين شديدة الحساسية ومتدينة وحنونة، وكانت تتألم كثيراً عندما تسمع عن القمع والبطش الإسرائيلي لأبناء شعبها. وأضاف شقيقها توفيق أن دارين قالت له قبل عيد الأضحى بيوم واحد (وقفة عرفة) حيث كانت صائمة وتستعد لتناول طعام الإفطار: "إن الدعوة إلى الله مستجابة في هذا اليوم الفضيل، ربنا تقبلنا شهداء".

- من الجدير بالذكر أن ابن خال دارين واسمه صفوت عبد الرحمن أبو عيشة (١٧ عاماً) استشهد بتاريخ ٢٥/ ١/ ٢٠٠٢ بعد تنفيذه عملية استشهادية في تل أبيب). [١]

(١) نقلاً عن موقع الرقيب بتصرف www.phrmg.org

٣- آيات الأخرس

الاسم : آيات محمد الأخرس

العمر : ١٨ سنة

السكن : مخيم الدهيشة بيت لحم

تاريخ الاستشهاد : ٢٩/ ٣/ ٢٠٠٢

تزينت بدمها الأحمر لتحوله إلى عرس فلسطيني

امتزجت الزغاريد بالبكاء. فاليوم عرسها. وإن لم تلبس الفستان الأبيض وتزف إلى عريسها الذي انتظر يوم زفافه ما يزيد على عام ونصف!! وارتدت بدلا منه بدلة الجندية والكوفية الفلسطينية. وتزينت بدمها الأحمر الحر لتحوله إلى عرس فلسطيني يدخل البهجة والفرح على قلب أم كل شهيد وجريح.

ففي شهر يوليو في ذلك العام كان المتوقع أن تقيم آيات محمد الأخرس حفل زفافها كأي فتاة في العالم. ولكنها أبت إلا أن تزف ببدلة الدم التي لا يزف بها مثلها. لتصنع مجد شعبها الفلسطيني بنجاحها في قتل وإصابة عشرات المحتلين الصهاينة في عملية بطولية ناجحة نفذتها فتاة في قلب الكيان الصهيوني.

عرس لا عزاء:

وفي بيت متواضع في مخيم الدهيشة أقيم عزاء الشهيدة آيات الأخرس.

توقعتُ أن أسمع صوت العويل والصراخ على العروس التي لم تكتمل فرحتها،

ولكني فوجئت بصوت الزغاريد والغناء تطرب له الآذان على بعد أمتار من المنزل. ووالدة الشهيدة الصابرة المحتسبة تستقبل المهنئات لها. وبصعوبة استطعت أن أفوز بالحديث معها لتصف لي صباح آخر يوم خرجت فيه "آيات" من المنزل. فقالت: "استيقظت آيات مبكرة على غير عادتها. وإن لم تكن عينها قد عرفت النوم في تلك الليلة. وصلَّت الصبح. وجلست تقرأ ما تيسر لها من كتاب الله. وارتدت ملابسها المدرسية لتحضر ما فاتها من دروس. فاستوقفتها. فاليوم الجمعة عطلة رسمية في جميع مدارس الوطن! ولكنها أخبرتني أنه أهم أيام حياتها. فدعوت الله أن يوفقها ويرضى عنها".

وتكمل الأم: وما كدت أكمل هذه الجملة حتى لاحظت بريق عينيها وكأني دفعت بها الأمل. ووهبتها النجاح في هذه الكلمات. فنظرت إلي بابتسامتها المشرقة. وقالت: هذا كل ما أريده منك يا أمي. وخرجت مسرعة تصاحبها شقيقتها سماح إلى المدرسة.

العلم لآخر رمق:

الشهيدة "الأخرس" من مواليد ٢٠/ ٢/ ١٩٨٥. طالبة في الصف الثالث الثانوي. والرابعة بين أخواتها السبع وإخوانها الثلاثة. عرفت بتفوقها الدراسي. حيث حصلت على تقدير امتياز في الفصل الأول لذلك العام. ورغم معرفتها بموعد استشهادها فإنها واصلت مذاكرة دروسها. وقضت طوال ساعات آخر ليلة تذاكر دروسها. وذهبت إلى مدرستها لتحضر آخر درس تعليمي لتؤكد لزميلاتها أهمية العلم الذي أوصتهم به.

وحول ذلك تؤكد زميلاتها بضرورة الاهتمام بالدراسة. والحرص على إكمال مشوارهن التعليمي مهما ألم بهن من ظروف وأخطار.

وتضيف هيفاء التي ما زالت ترفض أن تصدق خبر استشهاد آيات : منذ أسبوع تحتفظ آيات بكافة صور الشهداء في مقعدها الدراسي الذي كتبت عليه العديد من الشعارات التي تبين فضل الشهادة والشهداء . ولكن لم يدر بخلدي أنها تنوي أن تلحق بهم . فهي حريصة على تجميع صور الشهداء منذ مطلع الانتفاضة . وهي أشد حرصاً على أن تحصد أعلى الدرجات في المدرسة .

وداع سماح:

وتستطرد والدة الأخرس بعد أن سقطت دمعة من عينها أبت إلا السقوط : وعادت شقيقتها سماح مع تمام الساعة العاشرة بدونها . فخفت وبدأت دقات قلبي تتصارع . فالأوضاع الأمنية صعبة جداً . والمخيم يمكن أن يتعرض للاقتحام في أي لحظة . وغرقت في هاجس الخوف ووابل الأسئلة التي لا تنتهي أين ذهبت؟ وهل يعقل أن تكون قد نفذت ما تحلم به من الاستشهاد؟ ولكن كيف؟ وخطيبها؟ وملابس الفرح التي أعدتها؟ وأحلامها؟

وبينما الأم في صراعات بين صوت عقلها الذي ينفي . ودقات قلبها التي تؤكد قيامها بعملية استشهادية . وإذ بوسائل الإعلام تعلن عن تنفيذ عملية استشهادية في نتانيا . وأن منفذها فتاة . وتضيف الأم وقد اختنقت عبراتها بدموعها : فأيقنت أن آيات ذهبت ولن تعود . وأصبحت عروس فلسطين . فقد كانت مصممة على أن تنتقم لكل من "عيسى فرح" و "سائد عيد" اللذين استشهدا إثر قصف صاروخي لمنزلهما المجاور لنا .

صناعة الموت:

ويشار إلى أن الشهيدة الأخرس كانت حريصة على أن تحتفظ بكافة أسماء وصور الشهداء . وخاصة الاستشهاديين الذين كانت تحلم بأن تصبح مثلهم . ولكن طبيعتها

الأنثوية كانت أكبر عائق أمامها. فقضت أيامها شاردة الذهن غارقة في أحلام الشهادة حتى نجحت الشهيدة وفاء إدريس بتنفيذ أول عملية استشهادية تنفذها فتاة فلسطينية. وزادت رغبتها في تعقب خطاهم، وحطمت كافة القيود الأمنية، واستطاعت أن تصل إلى قادة العمل العسكري، ليتم تجنيدها في كتائب شهداء الأقصى رغم رفضها السابق اتباع أي تنظيم سياسي أو المشاركة في الأنشطة الطلابية.

وأكدت والدة الأخرس أنها كانت تجاهد نفسها لتغطي حقيقة رغبتها بالشهادة التي لا تكف الحديث عنها. وقولها: " ما فائدة الحياة إذا كان الموت يلاحقنا من كل جانب؟ سنذهب له قبل أن يأتينا. وننتقم لأنفسنا قبل أن نموت".

حبات الشوكولاته:

أما شقيقتها سماح طالبة الصف العاشر، وصديقتها المقربة، وحافظة سرها. فقد فقدت وعيها فور سماعها نبأ استشهاد شقيقتها آيات رغم علمها المسبق بنيتها تنفيذ عمليتها البطولية. وتصف لنا لحظات وداعها الأخير لها فتقول بصوت مخنوق بدموعها الحبيسة:

رأيت النور يتلألأ في وجهها ويتهلل فرحاً لم أعهده من قبل، وهي تعطيني بعض حبات الشوكولاته، وتقول لي بصوت حنون:

صَلِّي واسألي الله لي التوفيق. وقبل أن أسألها: على ماذا؟ قالت لي: اليوم ستبشرين بأحلى بشارة. فاليوم أحلى أيام عمري حيث انتظرته طويلاً. هل تودين أن أسلم لك على أحد؟ فرددت عليها باستهزاء:

سلمي على الشهيد محمود والشهيد سائد. لأني على يقين أنها لن تجرؤ على تنفيذ عملية بطولية. فحلم الاستشهاد يراود كل فتاة وشاب. وقليل جداً من ينجح منهم. ثم

سلمت علي سلاماً حاراً وغادرتني بسرعة لتذهب إلى فصلها .

وسكتت سماح برهة لتمسح دموعها التي أبت إلا أن تشاطرها أحزانها . وتابعت تقول : شعرت أن نظراتها غير طبيعية . وكأنها تودع كل ما حولها . لكني كنت أكذب أحاسيسي . فأي جرأة ستمتلكها لكي تنفذ عملية استشهادية؟ ومن سيجندها ؟ وهي ترفض الانضمام إلى منظمة الشبيبة الطلابية؟ ولكنها سرعان ما استدركت قائلة : هنيئاً لها الشهادة . فجميعنا مشروع شهادة .

عروستي لغيري:

أما "شادي أبو لبن" زوج آيات المنتظر . فقبل ساعات قليلة من استشهادها كانا يحلقان معا في فضاء أحلام حياتهما الزوجية وبيت الزوجية الذي لم ينتهيا بعد من وضع اللمسات الأخيرة له قبل أن يضمهما معاً في شهر يوليو القادم بعد انتهائها من تقديم امتحانات الثانوية العامة . وكاد صبرهما الذي مر عليه أكثر من عام ونصف أن ينفد . وحلما بالمولود البكر الذي اتفقا على تسميته "عدي" بعد مناقشات عديدة . وكيف سيُرَبِّيانه ليصبح بطلاً يحرر الأقصى من قيد الاحتلال .

ولكن فجأة وبدون مقدمات سقط شادي من فضاء حلمه على كابوس الاحتلال . ففتاة أحلامه زفت إلى غيره ، وأصبحت عروس فلسطين ، بعدما فجرت نفسها في قلب الكيان الصهيوني . وما كدت أسأل شادي عن خطيبته آيات التي أَحَبَّها بعد أن عرفها لعلاقته بإخوتها . وطرق باب أهلها طالباً يدها أول سبتمبر من العام ٢٠٠٠ حتى سقطت دمعة عينيه الحبيسة . وقال بعبرات امتزجت بالدموع : "خططنا أن يتم الفرح بعد إنهائها لامتحانات الثانوية العامة هذا العام ، لكن الله أراد لنا شيئاً آخر . لعلنا نلتقي في الجنة . كما كتبت لي في رسالتها الأخيرة" .

كانت أحب إلي من نفسي

وصمت شادي قليلاً ليشخص بصره في "آيات" التي ما زال طيفها ماثلاً أمامه ليكمل : "كانت أحب إلي من نفسي ، عرفتها قوية الشخصية ، شديدة العزيمة ، ذكية ، تحب الله ورسوله ، محبة للحياة ، تحلم بالأمان لأطفالها ، لذلك كان كثيراً ما يقلقها العدوان الصهيوني" . وأردف قائلا : "كلما حلمت بالمستقبل قطع حلمها الاستشهاد . فتسرقني من أحلام الزوجية إلى التحليق في العمليات الاستشهادية ، وصور القتلى من العدو ودمائنا التي سنُزَف بها معاً إلى الجنة ، فنتواعد بتنفيذها معاً .

قمة الوداع

واستطرد شادي وقد أشرقت ابتسامة على وجهه المفعم بالحزن . : " لقد كانت في زيارتي الأخيرة أكثر إلحاحاً علي بأن أبقى بجوارها ، وكلما هممت بالمغادرة كانت تطلب مني أن أبقى وألا أذهب ، وكأنها تودعني ، أو بالأحرى تريد لعيني أن تكتحل للمرة الأخيرة بنظراتها المشبعة بالحب لتبقى آخر عهدي بها" . ورغم أن شادي حاول جاهداً أن يظهر الصبر والجلد على فراق آيات . ليبوح لنا بأمنيته الغالية : "كنت أتمنى أن أرافقها بطولتها . ونستشهد معاً . . فهنيئا لها الشهادة ، وأسأل الله أن يلحقني بها قريباً . . قريباً . . !! .

وستبقى عروس فلسطين آيات الأخرس مثلاً وقدوة لكل فتاة وشاب فلسطيني ينقب عن نصرة الدين ، ويدفع دمه ومستقبله ثمناً لهذه النصرة .[١]

---

(١) نقلاً عن موقع المركز الفلسطيني للإعلام بتصرف www.palestine-info

٤- عندليب طقاطقة

الاسم: عندليب خليل طقاطقة

العمر: ٢٤ سنة

مكان السكن: بيت لحم

تاريخ الاستشهاد: ١٢/ ٤/ ٢٠٠٢ م

آخر كلمة قالتها الشهيدة

"سيأتي اليوم أناس لخطبتي، فأحسني استقبالهم".. هذه آخر كلمة قالتها الشهيدة "عندليب خليل طقاطقة" لوالدتها قبل أن تغادر منزلها لتنفذ عمليتها الفدائية في القدس الغربية والتي أسفرت عن مقتل ٦ إسرائيليين وإصابة ٨٥.

قالت شقيقتها "عبير" ٢٣ عاماً: "استيقظت عندليب في الصباح الباكر كعادتها، وصلت الصبح، ثم ألقت نظرة الوداع. نعم نظرة الوداع على إخوتها وهم نيام، الواحد تلو الآخر، والابتسامة تنير وجهها".

وأكملت عبير بعد أن أوقفها البكاء: "صنعت عندليب الشاي لوالدتي، وأخبرتها أن أناساً سيأتون لخطبتها الجمعة، وأوصَتْها بأن تحسن استقبالهم".

وردت عندليب عندما سألتها والدتها عن عائلة هذا الخطيب قائلة: "عندما سيأتون ستعرفينهم وتفرحين بهم، لأنهم سيحققون أمنيتي".

وتستطرد عبير قائلة بعد أن أخذت نفساً عميقاً بحجم جراحها: "خرجت عندليب إلى حديقة المنزل قائلة: سأنزل إلى حديقة المنزل لأروح عن نفسي قليلاً فلا تقلقي يا أمي".

لـم تنتظر عندليب حتى يوم الأحـد ١٤/ ٤/ ٢٠٠٢م لتحتفل بيوم ميلادها العشرين، لأنها آثرت أن تحتفل به في مكـان آخر، وبشكل آخر. واستعجلـت، وأطفأت نار رغبتها في الانتقام من اليهود، بدلاً مـن إطفاء شمعتها العشرين في منزل والدها المتواضع جداً في قرية "بيت فجار" قضاء مدينة بيت لحم جنوب الضفة الغربية.

الوعد لدماء الشهداء التي كانت تسيل

وتكمل شقيقتها عبير: "الزواج حلـم كل فتاة في سن عنـدليب، ولكنهـا كانت تحلم بـأكبر من الزواج والإنجـاب. تحلم بـالانتقـام من جيش الاحتلال لجـرائمه في جنين ونابلس، ولدماء الشهداء التي كانت تسيل".

أما والدتها "أم محـمد" ٤٨ عاما فما زالت تعيش هول الخبر. وترفض أن تصدق خبر استشهاد ابنـتها عندليب. وتذرف دمـوعها على أمل أن تعود إليـها اليوم أو غداً. بعد أن انـتظرتَ سـاعات نهـار الجمعـة ١٤/ ٤/ ٢٠٠٢م قدوم مـن يخطبـون ابنتهـا ولكن دون جدوى. حيث اقتحم منزلهم العشرات من جنـود الاحتلال بعد منتصـف الليل للتأكد من هويتها وشخصـيتها. مصطحبين مـعهم شقيقها "علي" ١٨ عامـاً، وابن عمها "معاذ" ٢٠ عاماً.

لا علاقة لها بالسياسة:

" لم يـسبق لها أن تحـدثت عن الـسياسـة أو تنظـيمات المقـاومة الفـلسطيـنية، ولـكنها كانت تكره الاحتلال وجرائمه".

بـهذه الجملـة الممزوجـة بالحـزن والأسى بـدأ شقيقهـا "محمد" ٢٦ عـاماً حـديثه، ثم أردف قائلاً: "قضت معظم ساعات الليلة التي سبقت استشهادها معنا، وتبادلنا أطراف الحديث والابتسامة تعلو شفتيها، ولم نشعر للحظة واحدة أنها ستفارقها".

وأكمل أخو الاستشهادية قائلاً: "بل كانت تتحدث عن آمالها وطموحاتها في أن يتحسن وضعنا الاقتصادي، ونبني بيتاً كبيراً يتسع لجميعنا". مؤكداً أن "كثرة مشاهدتها لجرائم الاحتلال والدماء التي كانت تراق أنبتت فيها روح الانتقام للشهداء والجرحى. وبعثت عبر أشلاء جسدها المتفجر الذي لا يزيد عن ٤٠ كغم رسالة إلى قادة الأمة العربية ليتحركوا لنجدة شعبنا الفلسطيني. وتؤكد لهم أن حجمها النحيل قادر على أن يفعل ما عجزت عنه الجيوش العربية".

كانت الشهيدة عوناً لأسرتها:

وكانت الاستشهادية عندليب تعمل في مصنع للنسيج في بيت لحم منذ ما يقرب من عامين. بعد أن تركت مقاعد الدراسة وهي في الصف السابع لتشارك في إعالة أسرتها المكونة من ٨ إخوة وأخوات. حيث يعاني أكبر الذكور من مرض مزمن في عموده الفقري، بينما تعاني شقيقتها الوسطى من مرض القلب.

وتعتبر "عندليب طقاطقة" رابع امرأة فلسطينية تفجر نفسها في قلب مناطق الاحتلال الصهيوني، انتقاماً لأرواح الشهداء والفلسطينيين الذين قتلوا بيد قوات الاحتلال الإسرائيلي)[1].

---

(١) نقلاً عن موقع شبكة الفرسان الإسلامية بتصرف www.forsan.net

٥- هبة عازم سعيد دراغمة

الاسم : هبة عازم سعيد دراغمة .

العمر : ١٩ عاماً .

مكان السكن : طوباس - جنين .

تاريخ الاستشهاد : ١٩/ ٠٥/ ٢٠٠٣

المستوى الدراسي : سنة أولى في جامعة القدس المفتوحة ، قسم اللغة الإنجليزية .

أسرة متواضعة ولدت الاستشهادية

في أسرة متواضعة ولدت الاستشهادية هبة دراغمه . . ، تقول شقيقتها جيهان (٢٦ عاماً) : والدي عامل بسيط ، أفنى حياته في تربيتنا وتوفير حياة آمنة وسعيدة لنا ، وعائلتنا تتكون من ثلاثة أشقاء ، وأربع بنات . . ، هبة أصغر شقيقاتها وجميعهن متزوجات ، لنا ثلاثة أشقاء أكبرهم بكر الموقوف منذ عام ونصف في سجون الاحتلال ، وشقيقان صغيران .

منذ صغرها كانت متميزة في كل شيء تتمتع بعلاقات قوية مع الوالدين والأشقاء ، كانت تقضي أوقاتها في الدراسة وقراءة القرآن والكتب الدينية ، صادقة في انتمائها لأمتها ، تتألم لألم شعبنا وتحزن بأنباء وجرائم القتل الصهيونية .

لم يعلم أحد:

يوم الاثنين غادرت (هبه) منزلها كالمعتاد وتوجهت للجامعة . . ، يقول أقاربها : "وكان وضعها طبيعياً ولم يلاحظ عليها أحد شيئاً" ، وتقول شقيقتها : "علمنا بنبأ

استشهادها من وسائل الإعلام ، في البداية لم نصدق ، ولكن ما دامت هي اختارت طريقها فألف رحمة تنزل عليها ، وندعو الله أن يتقبل شهادتها. جدتها (كريمة) التي كانت تقبل صورتها قالت :

الله يرحمها كانت حنونة ، تزورني وتجلس معي ، شجاعة متدينة ، لم تقطع فرض صلاة من صغرها ، احنا لسنا حزينين عليها والله يقبل شهادتها "، وفور انتشار النبأ توافد أهالي طوباس لمنزل عائلة هبه للتضامن معها ومؤازرتها وتقديم التهاني باستشهادها.

تحقق حلم أخيها...

فشل الأخ في تحقيق حلم الشهادة، لكن الأخت استطاعت فعل هذا! ".. بهذه الكلمات علقت ميساء الطوباسي جارة الاستشهادية هبة عازم أبو خضير دراغمة؟، على العملية الاستشهادية التي نفذتها هبة في العفولة شمال (إسرائيل) وأسفرت عن مقتل ٤ صهاينة، وجرح ٤٥ آخرين بينهم ١٣ في حالة خطرة.

وأوضحت ميساء أن قوات الاحتلال اعتقلت بكراً شقيق الاستشهادية هبة قبل عام ونصف تقريباً خلال محاولته القيام بعملية استشهادية في إسرائيل، مشيرة إلى أنه من المتوقع أن يحكم على بكر بالمؤبد.

الذهول والاستغراب خَيَّم على القرية بأكملها

وتَصِفُ ميساء حالة أهالي قرية طوباس بالضفة الغربية بعد وصول نبأ قيام هبة بعملية استشهادية إليهم، قائلة: الذهول والاستغراب خيم على القرية بأكملها عندما علموا بنبأ قيام هبة بعملية استشهادية، فلم يكن أحد من أهل القرية يتوقع أن تنفذ هبة التي عرفها المقربون منها بالوداعة والهدوء، عملية استشهادية !!

كما تشير إلى أن أفراد أسرة هبة لم يصدقوا نبأ وقوفها خلف العملية الاستشهادية في العفولة؛ لأنهم كانوا يعتقدون أن هبة غادرت المنزل في ساعات الظهر قاصدة جامعة القدس المفتوحة في طوباس حيث تلتحق بقسم اللغة الإنجليزية.

وتبلغ هبة عازم أبو خضير دراغمة من العمر ١٩ عاماً، وهي طالبة بالفرقة الأولى في جامعة القدس المفتوحة، قسم اللغة الإنجليزية، بقريتها طوباس، التابعة إدارياً لمدينة جنين، ويؤكد أقارب الشهيدة (هبة) أنها كانت ترتدي الحجاب والنقاب منذ فترة.

لن نقف مكتوفات الأيدي وشعبنا يذبح وسنقاتل العدو...

نساء من نوع آخر استبدلن عطرهن بعبق تراب الأرض، وخضبن كفوفهن بدم الشهداء، حملن السلاح على سواعدهن بدلاً من الزينة والمصاغ، نساء آمنّ بأن كرامة الإنسان كروحه لا تسلب إلا بإذن خالقها فتجنّدن ليكن مقاتلات واستشهاديات.. رحلتهن تبدأ مع العمل العسكري بقَسَم تقول كلماته: "أقسم بالله العظيم أن أسير على درب ذات الشوكة وعلى درب الشهادة والمقاومة والجهاد وأن أطيع الله والرسول.. ")[1].

(١) نقلاً عن الموقع بتصرف www.alqudsway.com

٦- هنادي جرادات

الاسم : هنادي تيسير جرادات

العمر : ٢٧ سنة

مكان السكن : جنين

المستوى الدراسي : بكالوريوس محاماة من جامعة جرش في الأردن .

تاريخ الاستشهاد : ٤/ ١٠/ ٢٠٠٣م

تروي كيفية اغتيال شقيقها وابن عمها

كان بإمكان الوحدات الصهيونية اعتقالهما ولكنهم أطلقوا النار عليهما بهدف التصفية . . .

للحظة واحدة لم تتوقف هنادي عن البكاء فلا زالت دموعها تنهمر بغزارة من عينيها فهي كما تقول دموع الحزن والقهر لأنها لم تتمكن من إنقاذ شقيقها وقريبها بعدما حاصرهما رصاص الوحدات السرية الخاصة يوم الخميس ١٣/ ٦/ ٢٠٠٣ أمام منزلهم الواقع في حارة الدبوس في شرق مدينة جنين .

صور الجريمة البشعة تمر أمامها

ومنذ جريمة الاغتيال الجديدة التي طالت شقيقها الشهيد فادي تيسير جرادات وابن عمه المجاهد البطل صالح جرادات لم تتوقف هنادي عن البكاء والعويل وصور الجريمة البشعة تمر أمامها وترافقها لتزيد من حزنها وحسرتها .

فتقول : أخي كان أمامي ينزف ، أمسكت بيده ، والدماء تغمر جسده ، كان يطلب مني مساعدته وإنقاذه ولكنهم هاجموني وألقوني أرضاً ونزعوا يدي من يده ، واقتادوه مع صالح لعدة أمتار وأطلقوا عليهما النار حتى استشهدا أمام أعيننا .

جميعهم عاشوا تلك اللحظات القاسية

لم تكن هنادي الشاهد الوحيد على ذلك المنظر المروع فإلى جانبها كانت زوجة الشهيد المجاهد صالح جرادات وطفله الوحيد الذي لم يتجاوز الثانية من عمره ، وجميعهم عاشوا تلك اللحظات القاسية التي جعلت الزوجة غير قادرة على الكلام حتى بعد ثلاثة أيام من استشهاد زوجها .

البداية نحو الشهادة

لم تكن رواية التفاصيل سهلة بالنسبة لهنادي التي تربطها بشقيقها الأكبر علاقة مميزة خاصة وأنه المعيل الوحيد للأسرة فوالدها يعاني من مرض خطير ، ولدى وقوع الجريمة كان في الأردن مع زوجته يتلقى العلاج . وإلى جانب هنادي كان يوجد في البيت شقيقاتها وصالح ابن عمها وفادي ، وكلهم يعيشون لحظات حزن وترقب بسبب قلقهم على مصير الوالد الذي تدهورت حالته الصحية .

بعد زمن طويل

مساء يوم الخميس ١٣/ ٦/ ٢٠٠٣ حضرت زوجة المجاهد صالح جرادات التي تسكن قرية السيله الحارثية مسقط رأسه للاطمئنان عليه ومشاهدته فقد مر عليها زمن طويل لم تشاهده وطفلها الوحيد ، فالاحتلال - تقول هنادي - يطارد زوجها ويلاحقه منذ فترة طويلة ، ويتهمه أنه قائد سرايا القدس الجناح العسكري للجهاد الإسلامي .

وتضيف هنادي : يومياً كان يتعرض منزلهم للدَّهم، وتلقت عائلته عشرات التهديدات بتصفيته؛ مما حرمه أبسط حقوقه في الحياة وحتى طفله الوحيد لم يشاهده سوى مرات محدودة فحياتهم كانت صعبة .

الدموع خنقت كلماتها

في ذلك اليوم - تتابع هنادي وهي تحاول التغلب على دموعها - حضر صالح للاطمئنان على زوجته وطفله ووالدي ، فجلسنا على بوابة المنزل بشكل طبيعي . وما كاد يداعب طفله ويقبّله ، وبينما كنا نشرب القهوة تقدمت نحونا سيارة تحمل لوحة ترخيص عربية كانت تسير بشكل طبيعي لذلك لم نهتم واعتقدنا أنه أحد أصدقاء صالح !! .

وتتذكر هنادي : الظلام دامس، وكنا نجلس ونتحدث ، وفجأة توقفت السيارة بيضاء اللون ، ظننتُ أنه صديق صالح ، ولكن ولم تكد تصل إلينا تلك السيارة حتى خرج منها شخصان وأطلقوا النار فوراً على صالح ، وبلمح البصر حضرت سيارة أخرى وهي أيضاً عربية وانضمت لإطلاق النار ، ارتمينا أرضاً ، وحملت زوجة صالح الطفل وهربَتْ للبيت أما أخي فادي فوقع أرضاً، شاهدته ينزف فأمسكت بيده وبدأت أسحبه خلف الكنبة التي كنا نجلس عليها لنتقي الرصاص وبدأت أصرخ : فادي صالح . سمعت فادي يتحدث بصعوبة : ساعديني . . أنقذيني . وتضيف - بعدما توقَفتْ ربع ساعة لأن الدموع خنقت كلماتها - : واصلتُ سحبه ، فإذا بأحد المسلحين منهم يهاجمني ، ألقاني أرضاً وانتزع فادي مني وقال لي : ادخلي البيت وإلا سأقتلك . . .

اتركوني أريد إنقاذ أخي

رفضت هنادي الانصياع لأوامرهم، وتضيف : صرختُ بهم : اتركوني ، أريد إنقاذ أخي، إنه ينزف . . فهاجموني . كان صالح ممدداً دون حراك ، ويبدو أنهم أصابوه

برأسه، أما فادي فلا زال يتحرك، ولكن ثلاثة منهم كانوا يتحدثون العربية بطلاقة هاجموني وسألوني: أين سلاحه؟ فقلت لا أعرف ولا يوجد سلاح.. الله أكبر عليكم.. سيموت !!

قتلوهما بدم بارد

صرخات ودموع هنادي لم تشفع لها أمام أفراد الوحدات الذين غادروا سياراتهم وانتشروا في كل مكان وتقول : أجبروني على النوم على وجهي وقال لي أحدهم يا... يا إرهابية سنقتلك معهم . وضعوا سلاحهم على رأسي ثم قال أحدهم لمجموعة أخرى: اسحبهم وكوِّمهم. فثارت أعصابي ولم أتحمل، فقلت أنتم إرهابيون كلاب... اتركوهم، فألقوني أرضاً وسحبوهما عدة أمتار، ثم أطلقوا النار عليهما مجدداً وقتلوهما بدم بارد!!...

إرادة وتحدٍّي

وَقْعُ الخبر كان قاسياً على تيسير جرادات والد الشهيد فادي الذي أمضى حياته في تربية أسرته، وقبل أن يحقق حلمه وفرحته بزفاف فادي قبل رحيله لأن المرض تمكن منه وجعله عاجزاً عن الكلام والسير بشكل طبيعي ، ومع ذلك أصر على ترك العلاج والمستشفى وعاد من الأردن ليتقدم مسيرة تشييع نجله فادي، ويقول إنه يفتخر بكون ولده شهيداً ومجاهداً في حركة الجهاد الإسلامي ، وأضاف : حزنت على رحيله، ولكن هناك هدف أكبر وأسمى وأعظم، إنه بلد الإسلام المغتصب وفلسطين الأسيرة، وبكل فخر واعتزاز أزف ابني شهيداً لفلسطين ...

الاحتلال دمر حياة الأسرة

وأضاف :ليتني كنت فداءاً لفادي، فجريمة الاحتلال دمرت أسرتي؛ فهو المعيل

الوحيد لها خاصة وأن المرض نال مني ويهدد حياتي؛ فأنا مريض بالسرطان ، وولدي كان يتولى رعاية شقيقاته ، واليوم يتضاعف همي ، وأنا معرَّض للموت في كل لحظة ، قلقٌ ومضطرب على مصير عائلتي التي ليس لها معيل .

وأضاف وهو يبكي بشدة : أموت كل لحظة ألف مرة قلقاً على مصير أسرتي التي تحطمت برحيل فادي .

سيدفع القاتل الثمن ولن نبكي وحدنا

أما هنادي فتغلبت على حالة الحزن وأطلقت زغرودة في وداع شقيقها وقالت: دم فادي لن يذهب هدراً ، وسيدفع القاتل الثمن ، ولن نبكي وحدنا فسحقا لكل العالم إن لم يعش شعبنا بحرية وكرامة ونحقق حلم وأهداف الشهداء .[(١)]

(بعد أن ختمت المحامية هنادي تيسير جرادات الجزء الأخير من القرآن الكريم قضَتْ ليلتها تصلي وتبتهل إلى الله أن يوفقها في مهمتها، وفي اليوم التالي تمكنت من تنفيذ عملية استشهادية هزت مدينة حيفا أسفرت عن مقتل ١٩ إسرائيليا وإصابة ٥٠ آخرين؛ لتكون بذلك الاستشهادية السادسة بالانتفاضة، وأولى استشهاديي العام الرابع للانتفاضة . . .

الحمد لله فادي لم يذهب دمه هدراً

وفي حديث خاص لشبكة "إسلام أون لاين. نت" السبت ٤/ ١٠/ ٢٠٠٣ قالت فادية شقيقة الاستشهادية بأن هنادي انتقمت من إسرائيل التي قتلت شقيقها فادي وابن عمها صلاح في اشتباك بمدينة جنين في ١٢/ ٦/ ٢٠٠٢ ، وأضافت قائلة : "الحمد لله . . هذا فخر

---

(١) نقلاً عن موقع المركز الفلسطيني للإعلام بتصرف www.palestine-info

لنا، لقد رفعت رأسنا وشفت غليلنا وغليل فادي. . الحمد لله فادي لم يذهب دمه هدراً". وقالت فادية: "من يوم استشهاد أخي اختلفت طباعها تماماً، أصبحت تجلس بمفردها كثيرا، تحب العزلة، تستمع إلى الأشرطة الدينية وتقرأ القرآن"، موضحة أنها توعدت بالثأر بعد أن رأت جثة شقيقها في المستشفى .

وأشارت فادية إلى أن الاستشهادية تأثرت أيضاً بالعدوان الإسرائيلي المتواصل على الشعب الفلسطيني، وليس بمجرد قتل أخيها وابن عمها .

تتميز بشجاعة غير معهودة

وأضافت أن هنادي كانت " تتميز بشجاعة غير معهودة على الفتيات "، وأشارت إلى أنها كانت "لا تخشى شيئاً، وشخصيتها قوية زيادة عن اللزوم، ولا أحد يستطيع أن يغير قراراتها". إلا أنها في الوقت نفسه كانت "اجتماعية جداً وتحب الناس، والكل يحبونها جداً جداً، وكان مشهوراً عنها ميلها لحب الخير" .

وحول رد فعل والد الاستشهادية قالت الشقيقة فادية : بأنه أخذ يردد عبارة "الحمد لله. . الحمد لله".

الليلة الأخيرة

وتصف فادية آخر ليلة قضتها هنادي في بيتها قائلة: "كنا جالسات نتحدث عن زفاف إحدى شقيقاتنا المقرر إقامته بعد عشرة أيام"، مشيرة إلى أن هنادي كانت تداعب شقيقتها قائلة: "افرحي. . أنت عروس، واعزمي من تريدين، الله يهنيك، ويسعدك"، وأشارت فادية إلى أن الشقيقات أمضين طوال الليل يمزحن ويضحكن .

قضت ليلتها تصلي وتقرأ القرآن

وأضافت قائلة : بأن والدها طلب من هنادي أن تخلد إلى النوم بعد أن سهرت كثيراً على غير عادتها، فردت عليه قائلة: "سأنام فقط بعد أن أختم الجزء الأخير من القرآن الكريم للمرة السابعة في حياتي"، وأشارت إلى أن الاستشهادية قضت ليلتها تصلي وتقرأ القرآن. وختمت فادية حديثها قائلة وقد غلبتها دموع: "الحمد لله الذي جعل لنا أختاً مثل هنادي رفعت رأسنا عالياً")[1].

(١) نقلاً عن الموقع بتصرف www.montada.com

٧- ريم الرياشي

الاسم : ريم صالح الرياشي

العمر : ٢٢سنة

مكان السكن : حي الزيتون غزة

تاريخ الاستشهاد : ١٤/ ١/ ٢٠٠٤م

أم لطفلين صغيرين أحدهما لم يتجاوز عمره ١٨ شهراً

أم لطفلين صغيرين أحدهما لم يتجاوز عمره ١٨شهراً، وثانيهما ضحى ذات الأعوام الثلاثة ، ريم أول أم فلسطينية تفضل أن يعيش أطفالها يتامى ولا يعيش وطنها محتلاً من قبل أعداء الإسلام اليهود . ودَّعَتْ ريم طفليها وزوجها حين غادرت بيتها ومضت إلى هدفها دون أن تختلس نظرة إلى الوراء لتملأ عينيها بصورة الطفلين اللذين لن تراهما بعد ذلك أبداً .

نحو الشهادة تقدمت

تقدمت بكل ثقة صوب حاجز أريتز وهي تلف الحزام الناسف حول خصرها ، وحين أطلق الحاجز الإلكتروني جرساً منبهاً إلى أنها تحمل شيئاً معدنياً ، فإنها لم تهتز ، وبذات الدرجة من الثبات والهدوء أخبرت الجنود الإسرائيليين بأن ثمة قطعة من البلاتين مزروعة في ساقها التي ادعت إصابتها من قبل .

انخدع الجنود بالاطمئنان البادي عليها ، واحتجزوها جانبا لتفتيشها اقتربت منهم بزعم الاستسلام للتفتيش ، ثم فجرت نفسها ، وهي تتوسطهم فقتلت من الجنود الإسرائيليين أربعة وجرحت عشرة آخرين .

وهكذا تصنع الفتيات الفلسطينيات حالة تضحية قصوى تلطم وجوه كل الخائفين والمترددين وتجار التسوية ، وتنتزع الفجر القادم من بين أنياب غول الظلام[١] .

بشموخهم عناوين وأمكنة الندى

(أنبل ما في دنيا العرب : دم يقاتل الغزاة . . . والصهاينةَ في أرض الرباط و البطولة والصمود . أحسن ما في دنيا العرب : ماجدات و أماجد ، شهيدات و شهداء ، يحرسون بشموخهم عناوين و أمكنة الندى و الجموح والصبر والأهل و الزيتون . و أشجع النسوة من تركت طفليها كي ترعى الزمن السيادي الفلسطيني الآتي ؛ لتسهر على عودة الوطن و الاستقلال واللاجئين . و ما كانت الخالدة الباسلة الشهيدة ريم صالح الرياشي تترك طفليها الصغيرين بدون سيرة مجيدة و شرف واعتزاز يكفيهما و يكفينا . لنفخر و نتباهى بها ، ببنات البلاد ، بغضبِ استشهادي ألقته في وجه الطغاة المجرمين ؛ لتنفجر شظاياه سخطاً على الاحتلال . . مطالباً برحيله التام عن أرض البواسل والصقور والملاحم .

ريمٌ تعالت في البسالةِ و المجدِ ، قالت بدمها : كل البطولة عندي . .

شموسنا البهية تقاس بالتضحيات

إن المسافة بين أقمارنا الفدائية و شموسنا البهية تقاس بالتضحيات ، بالعطاء الكبير ، فما أقصر المسافة ، ما أقدسها ، بين دماء شهدائنا وشهيداتنا و التراب الفلسطيني المقدس . فلا جنس للبطولة ، هي المؤنث و المذكر ، في رمية موجعة بصدر العدو ، واحدة ، رادعة .

ريم أو مريم الرياشي ، أفئدة الافتخار لدى شعبنا بكل فئاته و تنظيماته ، تتسع لكل الأسماء الغالية ، و حين تتحول الأسماء المضمخة بأريج الفداء و الرفعة إلى أنهار وينابيع تروي بساتين و أشجار أهدافنا النضالية في التحرر و العودة ، تورق على ضفاف الخلود

(١) نقلاً عن صحيفة البيان للطباعة والنشر بتصرف .

زهور فلسطينية ، قرنفل من غزة ، ياسمين من الضفة ، بيسان من الجليل .

شروق شمس الانعتاق والانتصار

ما أوضح الحق ، حقنا ، لكن المزيفين يتقاطرون علينا ، من كل جهات الباطل والتزوير ، حق الشعوب في مقاومة و قتال المحتلين تلغيه تعاليم البطش و قوة التدمير المتغطرسة الهاذية ، فيتفوق عليه ، وفق نصوص العولمة المسعورة و قراءات الافتراء والتواطؤ "حق" المحتلين التوسعيين ، الاستعماريين ، و الامبرياليين في قهر و استعباد وإذلال و نهب ثروات شعوبنا العربية والإسلامية .

أمثال الخالدة الشهيدة إن شاء الله (ريم) ، من الشهيدات و الشهداء الأبرار ، هم الذين يعجلون بشروق شمس الانعتاق والانتصار، أمثال (ريم) من البواسل والباسلات ، هم الذين يقصرون رحلة آلام و عذابات شعبنا ، ليصل ساحل الأمان و الحرية والسلام الحقيقي .

أنبل ما في دنيانا ، شهداؤنا ، هم النجوم المشعة المباركة على كتف أيامنا والمسيرة النضالية .

من دمهم ستخرج كل الكتب النبيلة المرشدة التي سيقرأها ، كسطور هادية ، دالّة ، كل عائد إلى الوطن المستقل السيد ، كل صامد وصامدة ومناضل و مناضلة فيه .

وريم تعالتْ في البسالةِ والمجدِ

قالتْ بدمها كل البطولة عندي

عزمٌ وفداءٌ وعنفوانٌ وتحدي ..

حتى يرحل من أرضنا آخر جندي)[1].

(١) نقلاً عن موقع صرخة فلسطينية info@sarkha.com

أناس لهذه المهمات

آه يا (ريم) آه كم علّمت العدو درساً لن ينساه أبد الدهر ! وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون .

لله درك يا (ريم) كم أحببت الله وكم أحبك ، والله إنه لنعمة أن يصطفي الله أناساً لهذه المهمات وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى ، آه كم علمتنا معنى البطولة والفداء! آه كم أسعدت عائلات ثكلى! آه يا (ريم) لكم ارتوت الأرض من دماء لكن دمك أزكى وأطهر! ، آه يا (ريم) لكم أسعدت كروم العنب لا بل حبات العنب حبة حبة ! آه يا (ريم) شوقك للقاء الله لهو أجمل شوق وأجمل لقاء في هذه الدنيا الصغيرة ! آه يا (ريم) لقد علمتنا دروساً في العطاء والوفاء ، سيذكرك كل أطفال فلسطين وكل نساء فلسطين .

﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَـٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَأُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأُوذُوا۟ فِى سَبِيلِى وَقَـٰتَلُوا۟ وَقُتِلُوا۟ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾﴾[1] .

---

(١) (آل عمران - ١٩٥) .

٨- سناء قديح

الاسم : سناء عبدالهادي قديح

العمر: ٣٢ سنة

مكان السكن: محافظة خان يونس

تاريخ الاستشهاد: ٢١/ ٣/ ٢٠٠٤ م

أبت أن يغادرها زوجها وحيداً إلى الجنة فقاتلت معه حتى الشهادة

هي نموذج فريد للمرأة المؤمنة المسلمة المجاهدة التي باعت نفسها لله. وارتضت أن تجعل من جسدها جسراً لمواكبة الشهداء ، ووقوداً للدفاع عن المقاومة الفلسطينية المتصاعدة، وناراً ملتهبة للانتقام من أعداء الله والدين الذين بلغ منهم التطاول والعجرفة والاستكبار كل مبلغ.

سناء.. هي حالة متميزة من التفاعل الأصيل بين الدين والجهاد من جهة ، وحب الزوج والإخلاص له من جهة أخرى.

المولد والنشأة

ولدت الاستشهادية سناء عبد الهادي قديح في قرية عبسان الكبيرة بمحافظة خان يونس عام ١٩٧٢م ، وهي أم لأربعة أطفال "مصعب ٣سنوات، عاصم ١٠سنوات، علاء١١ سنة، إسلام١٣ سنة".

في تمام الساعة الثانية من صباح يوم الأحد الموافق ٢١/ ٣/ ٢٠٠٤ م قامت قوات الاحتلال الصهيوني باجتياح قريتها قاصدة بيتها لاعتقال وتصفية زوجها الشهيد باسم قديح أحد قادة كتائب الشهيد عز الدين القسام.

بداية المعركة ..

عند اكتشافهم للقوات الخاصة من جيش الاحتلال الصهيوني بجوار منزلهم انطلقوا كالأسود من عرينهم لمقاومتهم بكل ما يملكون من عدة وعتاد . افتُتحت المعركة بتفجير عبوة ناسفة تم زرعها مسبقاً بجوار منزلهم .

عندما اشتدت حمى المعركة بين قوات الاحتلال وبين المجاهد باسم ، وعندما أيقن موعده مع الشهادة طلب من زوجته الخروج من المنزل مع أبنائها ليستمر في المقاومة لوحده .

ولكن الزوجة المؤمنة المخلصة أبت إلا أن تشاركه في معركة العز والكرامة ضد جنود الاحتلال المعتدين . ففضَّلَتْ البقاء لتنال الشهادة ، على الحياة الدنيا ومتاعها .

فجاهدت سناء في زمن قلَّ فيه الرجال ضاغطة بإصبعها الرقيق على الزناد وذلك بعد أن تلقت التدريب على السلاح من قبل زوجها الشهيد استعدادا للرحيل الجماعي إلى الجنة إن شاء الله .

وفي الليلة الظلماء يفتقد البدر

وبعد ساعات من القتال والحصار وهم يتنقلون من مكان إلى آخر داخل منزلهم ورشّاشا سناء وباسم يزغردان في الأفق مخترقان صمت الليلة الظلماء ، بدأ باسم بنفسه ففجر حزامه الناسف الذي لفَّه حول وسطه تحت غطاء زوجته سناء .

وما هي إلا دقائق قليلة لم تصبر خلالها سناء فراق زوجها باسم حتى قصفتها طائرات العدو بصاروخ موجه إلى جسدها الطاهر لترتقي إلى عليين إن شاء الله لتكون الاستشهادية الثانية في قطاع غزة والثامنة على مستوى فلسطين . فتنضم بذلك إلى قافلة الاستشهاديات الفلسطينيات ، وكان قدرهما كما عاشا معاً بأن يغادرا الدنيا معاً .

المعركة لم تكن بمثابة نزهة للمحتلين

وعلى ما يبدو أن المعركة لم تكن بمثابة نزهه للمحتلين فقد ذكر شهود العيان أنهم شاهدوا سيارات إسعاف العدو تأتي إلى مكان العملية لنقل إصاباتهم ، كما أكدوا رؤيتهم لبقايا من ناقلة جند تم تفجيرها في نفس المكان .

كرامات الشهادة

يقول شقيق الشهيدة بأنها كانت تتمنى الشهادة دائماً، فصدقت الله فصدقها الله . ومن صفاتها أنها كانت طيبة القلب تحب جيرانها وأطفالها حباً جماً .

وأشار أنه بعد استشهادها بثلاثة أيام وجد في مكان العملية أحد أصابع يدها لم يتغير لونه ولا صفاته .

ويضيف بأن الله قد وضع الصبر في قلوب أهلها وأبنائها، وهم يشعرون بها في كل وقت وكأنها لا زالت تعيش بينهم . . نعم إنها كرامات الشهداء .

المرأة المجاهدة العاملة

وأشار أحد نشطاء حركة المقاومة الإسلامية حماس بأن الشهيدة هي التي كانت تجهزهم للجهاد، وتحضر لهم اللثام بيدها لينطلقوا إلى أهدافهم من بيتها، وكانت تشارك زوجها في صنع قذائف الهاون والعبوات الجانبية وصواريخ القسام .

ولقد تركت حادثة استشهادها الأثر الكبير في نفوس نساء الحي؛ حيث أصبحن يقبلن على الدروس الإيمانية وعلى حفظ القران الكريم في مسجد الحي . ليُثْبِتْنَ بأن الشهيدة (سناء) ليست الاستشهادية الأولى ولن تكون الأخيرة بإذن الله .

كلُ الطيورِ تعودُ في ذَيلِ النهَار

إلا أناْ يا قُدس أخطأنيَ القِطارْ



فلو كُنَّ النساء كمن ذكرنا

لفُضلَت النساء على الرجالِ

فما التأنيث لاسم الشمس عيبٌ

ولا التذكير فخر للهلالِ [1]

---

(١) نقلاً عن موقع الملتقى بتصرف www.ikhwan.net

الفصل الرابع

نساء صنعن المجد

- ❖ دقائق معدودة وبدأ إطلاق النار
- ❖ استشهاد الحبيب الغالي
- ❖ رفيقة الدرب المخلصة للزوج حتى في الشهادة
- ❖ شهادة الدم .. طغت على شهادات التقدير !!!
- ❖ حرمهم الاحتلال من أمهم طيلة حياتهم
- ❖ رحلت قبل أن يشاركها الأهل فرحة التفوق
- ❖ خمس ساعات من وقوع الحادث
- ❖ الإرهاب الصهيوني لحق بالأطفال في أحضان أمهاتهم

أمّ دعاء هبت لنجدة جريح من أبناء قريتها فلحقت بشقيقها الشهيد

الزمان : الساعة الثانية والنصف ظهر يوم الأربعاء ، المكان: بلدة قراوة بني زيد التي تبعد ٢٥ كم شمال غرب مدينة رام الله المحتلة ، سجلت الذاكرة اليومية الفلسطينية جريمة صهيونية جديدة .

لها من البنات سبع

ضحية الجريمة الجديدة فتى فلسطيني في مقتبل العمر ، لم يكمل بعد العام الثامن عشر من عمره ، طالب مميز في الثانوية العامة ، وامرأة فلسطينية عمرها ٣٩ عاما ولها من البنات سبع أصغرهن حنان بنت العامين وأكبرهن دعاء لم تتجاوز ستة عشر عاما .

ذنب أم دعاء هو أنها حاولت إنقاذ أحد أبناء قريتها الذي أصيب برصاصة من النوع الثقيل في منطقة الصدر أطلقها عليه الجنود من مسافة كيلو متر تقريبا بينما كان يقف بجوار عدد من الشبان في ساحة الدوار وسط البلدة .

دقائق معدودة وبدأ إطلاق النار

أبو هودي ابن عم الشهيدة وهو أحد الشهود يروى تفاصيل الجريمة قائلاً: سمعنا إطلاقاً كثيفا للنار مصدره المدخل الشمالي للقرية ، خرج بعض الناس لاستطلاع الأمر وكان من بينهم الشهيد رامز ، دقائق معدودة ، بدأ إطلاق النار نحو جمهور من أبناء القرية وقفوا وسط البلدة فأصيب رامز برصاصتين من العيار الثقيل سقط جراءها على الأرض وهرب كل من كان حوله لكثافة إطلاق النار . حاول البعض التقدم لسحب

رامز إلى منطقة آمنة حتى يتم نقله إلى أقرب مستشفى لكن دون جدوى .

في هذه اللحظات خرجت أم دعاء من منزلها الذي لا يبعد سوى أمتار عن مكان الحادث ، وبدون تفكير أو تردد تقدمت بشكل سريع نحو رامز وبدأت بسحبه إلى الخلف .

أصيبت أم دعاء برصاصتين من العيار الثقيل

ويتابع أبو هودي ... في هذه الأثناء أصيبت أم دعاء برصاصتين من العيار الثقيل الأولى كانت في الفخذ، والثانية كانت في البطن فنفذت من الخلف ولم تعد قادرة على الوقوف فسقطت على الأرض ... .

دروس في معنى الإيثار

وعندما تقدم بعض الشبان من أم دعاء لتقديم الإسعافات الأولية لها كان شيء من القوة يسري في بدنها فصرخت عليهم تطلب منهم أن يهتموا برامز لأن إصابته أخطر، إذ كانت على ما يبدو تعتقد أنها أصيبت في القدم فقط .

لفظ رامز أنفاسه الأخيرة في موقع الإصابة ولم يتمكن أحد من إنقاذ حياته ، إذ كانت الإصابة قاتلة وخطيرة جداً ، نزف خلال ثلاث دقائق كميات كبيرة من الدم لتسلم روحه الطاهرة إلى بارئها .

نحو الشهادة

وعلى وجه السرعة نقلت أم دعاء بسيارة خصوصية إلى مستشفى سلفيت الذي يبعد ٢٠ دقيقية بالسيارة ، وأُدخلت إلى غرفة الطوارئ، ولكن قدر الله كان أسرع من الأطباء فأُعلن عن استشهادها .

أم دعاء.. تاريخ جهادي مشرف

الشهيدة (أم دعاء) لم تكن سيدة عادية في قريتها ، فقد كانت طلائعية بكل ما تحمل الكلمة من معنى ، فقد وصفها معارفها بالمبادرة والوطنية ، فقد كانت عضوة في الهيئة الإدارية للنادي النسوي في قريتها ، كما أنها كانت في الخطوط الأمامية في أية مواجهات تقع في قراوة بني زيد .

حرصها على تقديم المساعدة للمجاهدين

وتقول أسرتها أن أم دعاء كانت تحرص على تقديم المساعدة للشبان الذين يرشقون الجنود بالحجارة ، توجههم ، وترشدهم على أماكن تواجد الجنود .

لم تكن كبقية النسوة تختبىء في منزلها لحظة اشتداد المواجهات ، أو تلزم بيتها وعند بناتها ، بل كانت مبادرة وشجاعة ولا تخاف من شيء .

شجاعتها تجسدت لحظة استشهاد شقيقها أسامه عرار ابن الـ٢٣ عاماً قبل شهر تقريباً، عندما سقط برصاص جنود الاحتلال في ساحة مدرسة القرية .

أم دعاء.. مثال على المرأة الصابرة المجاهدة

لم تبكِ أخيها ، ولم تنزل من عيونها أية دمعة ، بل كانت تؤنب كل امرأة تفعل ذلك ، وتشجع شقيقاتها ووالدتها ، وتقول لهم أن أسامة هو وسام شرف لنا جميعاً ، هو شهيد هذا الوطن ، ولا يجب أن نسمح لأنفسنا أن نبكيه .

ويقف سكان قراوة بني زيد اليوم وقفة إجلال واحترام وإعجاب أمام هذه المرأة الفلسطينية (أم دعاء) التي ضحت بنفسها وببناتها وبزوجها وبأغلى ما يملك الإنسان وهو الروح ، من أجل إنقاذ مصاب مسلم .

وبالرغم من الخطر الداهم لكل من يقترب من المكان ، تقدمت أم دعاء بخطوات ثابته دون تردد أو جبن ، تقدمت وهي تعلم أن حياتها في خطر شديد ، فجنود الاحتلال لم يفرقوا يوماً بين فلسطيني وآخر ، فالكل عندهم يستحق الموت .

إلى جنان الخلد يا أم دعاء

رحلت أم دعاء وتركت خلفها بنات يتيمات ، فقدن حنان الأم وعطفها إلى الأبد ، رحلت أم دعاء وتركت خلفها زوجاً أرمل يكابد مشاق الحياة وصعابها لوحده . رحلت أم دعاء واحتلت رقم تسعة في قائمة شهداء قرية قراوة بني زيد سقطوا جميعاً في الانتفاضة الأولى والثانية . فإلى جنان الخلد يا أم دعاء إن شاء الله . ودعاؤنا أن يكون اللقاء هناك عند الحوض بإذن الله ليسقينا حبيب الله ﷺ شربة لا نظمأ بعدها [1] .

---

(١) نقلاً عن موقع صابرون بتصرف . www.sabiroon.org

أم الشهداء سعاد
استشهدت بكمين مسلح ودفنت مبتسمةً
رافعةً سبابتها إلى جوار ابنها القسامي

لم تكن الشهيدة سعاد تعلم وهي تودع ابنها الشهيد أحمد أن فراقه لن يدوم طويلاً، وبأن ثلاثة أشهر فقط هي مدة الألم ولوعة الفراق...

فقط ثلاثة أشهر وتنتهي قصة من أروع قصص البطولة والفداء في فلسطين، لا بل في تاريخ العرب والمسلمين، فكانت الشهيدة أم محمد " سعاد جود الله " بطلة هذه القصة وصانعة أحداثها ووقائعها، وكان ابنها الشهيد أحمد فصلا مشرقا من فصول تلك القصة الرائعة.

أسرة متدينة

في يوم من أيام الربيع الفلسطيني وبتاريخ ٢٤/ ٤/ ١٩٥٦ ولدت الشهيدة سعاد حسن صنوبر في مدينة نابلس لأسرة عرفت بتدينها والتزامها بأخلاق الدين الحنيف. . فتربت تربية إسلامية كان لها الأثر الأكبر في تفكيرها ونمط حياتها فيما بعد .

أنهت شهيدتنا الدراسة الثانوية في الفرع العلمي ومن ثم حصلت على شهادة الدبلوم في المحاسبة، وقد اشتهرت بين أفراد عائلتها بذكائها الحاد وفطنتها وألمعيتها حتى إن أفراد أسرتها كانوا يلقبونها بالدكتورة .

اقترنت شهيدتنا عام ١٩٧٨ بالسيد محمود خليل جود الله "أبو محمد" فكانت مثلا

يحتذى به للزوجة الصالحة والمتفانية في رعاية بيتها وشؤون أسرتها الجديدة، وقد تحملت مع زوجها ظروف المعيشة القاسية وضحت بكل ما تملك من جهد ومال وحلي في سبيل بناء بيت مستقل لها ولزوجها ولأبنائها بدلاً من البيت الصغير المستأجر، لتوفر لأبنائها حياة أفضل ومستقبلاً وادعاً.

غرست في نفوس أطفالها معاني العزة والكرامة

وقد رزقت الشهيدة بخمسة أبناء هم: محمد وأحمد وعبد الله وأنس وياسر، فحرصت على تربيتهم التربية الصالحة، وأنشأتهم على حب المساجد، وغرست في نفوسهم معاني العزة والكرامة وحب الجهاد، فأنبت جهدها نباتاً حسناً، وكان ابنها الشهيد أحمد ذلك الشاب المجاهد الذي أذاق العدو صنوفاً من العذاب بعملياته الجريئة والنوعية.

وكانت أم محمد كذلك أماً لكل الشهداء والمجاهدين من رفقاء درب ابنها الشهيد أحمد، كانت أماً للشهداء أيمن الحناوي وعلاء مفلح وسامح الشنيك وغيرهم الكثير، إذ لم تتوان عن إعداد الطعام وإرساله لهم مع ابنها أحمد، وتقدم لهم كل رعاية وعناية، وتودعهم بالدموع والدعاء والصلاة قبل كل عملية كانوا ينطلقون لتنفيذها ضد الصهاينة المحتلين، ولا يهدأ لها بال حتى يعودوا من مهمتهم بسلام، فاستحقت بذلك لقب أم الشهداء.

استشهاد الحبيب الغالي

كان أحب أبناء الشهيدة سعاد إلى قلبها ابنها الشهيد أحمد حيث كان يتودد إليها بالرفق والحنان والملاطفة، وكان يقول لها دائماً بأنه لن يمكث في هذه الدنيا طويلاً، فتجيبه الأم المؤمنة المجاهدة: إني قد وهبتك لله تعالى. وكانت توصيه قائلة: بالله عليك

يا أحمد لا تمت إلا ميتة مشرفة، لا أريد أن أسمع أنك استشهدت أثناء تحضير عبوة ناسفة أو برصاصة طائشة، أريدك أن تموت وأنت تواجه المحتلين.

الابن المجاهد

وبالفعل كان الشهيد أحمد قناصاً بارعاً، ومن أبرز عملياته قتل جنديين صهيونيين في عمارة عالول و أبو صالحة وسط مدينة نابلس في ٣٠/ ٩/ ٢٠٠٣ فضلاً عن عشرات العمليات التي شارك فيها وقتل ما مجموعه سبعة صهاينة و إصاب العشرات منهم بجروح.

وكانت عمليات الشهيد أحمد شديدة الوقع على جنود الاحتلال ومستوطنيه، فقامت وحدة صهيونية خاصة من جيش الاحتلال بتنفيذ عملية اغتيال مدبرة استهدفته واثنين من رفقاء دربه هما الشهيد علاء مفلح وأيمن الحناوي في منطقة رأس العين بالمدينة بتاريخ ٢٧/ ١٠ وأسفرت العملية عن استشهاد أحمد وعلاء فيما تمكن أيمن من الإفلات بعد أن رمى بنفسه في وادٍ قريب وكُسر ساعده.

ويروي شهود العيان أنهم شاهدوا أحمد وهو يقاوم أفراد الوحدة الصهيونية، إذ أطلق النار باتجاه أحدهم فأصابه إصابة مباشرة في رقبته قبل أن يعاجله باقي أفراد الوحدة بإطلاق النار عليه بشكل كثيف ليرتقي شهيداً إلى عليين إن شاء الله.

نبأ استشهاد ابنها أحمد

وتسمع الأم بخبر استشهاد رفيق ابنها "علاء" في عملية اغتيال مدبرة، فتدرك على الفور أن ابنها أحمد لا بد أنه أصيب أو اعتقل، هذا إذا لم يستشهد هو الآخر، وبالفعل وصلت الأخبار تباعاً لتؤكد نبأ استشهاد ابنها أحمد. بكت شهيدتنا بكاءً شديداً على فراق ابنها الحبيب، وكانت تقول: لقد ذهب الغالي، وقد اشتد ألمها وحزنها لفراقه،

وكم كانت متلهفة لرؤيته ولو في المنام، ويروي أبناؤها أنها كانت تقول بعد استشهاد أحمد: إن أحمد مشغول عني، لا يزورني في المنام.

الصبر والاحتساب

وكان أثر حزنها بادياً على وجهها بشكل واضح وجلي، إلا أنها كانت صابرة محتسبة، ترجو أجرها من الله تعالى، على أمل أن تلقى ابنها عن قريب، فكان لها ما تمنت، وأكرمها الله تعالى بالشهادة، بعد أن قضت حياتها مجاهدة في سبيل الله، وقدمت أعز أبنائها فداءً لمسرى نبيه صلى الله عليه وسلم.

موعد مع الشهادة

وتزداد حرقة الأم على ولدها، ويزيد شوقها للقائه، فيكون اللقاء بعد أقل من ثلاثة أشهر، حينما كانت الشهيدة سعاد وابنها الآخر عبد الله والشهيد القسامي أيمن الحناوي رفيق درب الشهيد أحمد هدفاً لكمين نصبته قوات الاحتلال على مدخل نابلس الغربي.

ويطلق الجنود النار بكثافة على السيارة التي كانوا يستقلونها، فترتقي سعاد شهيدة وكذلك أيمن، ويصاب عبد الله بجروح ويقع في قبضة جنود الاحتلال.

ما أجمل اللقاء

لقد أكرم الله سبحانه وتعالى الشهيدة سعاد بلقاء ابنها الذي أحبته، وكان هذا اللقاء بصحبة الشهيد أيمن صديق ابنها ورفيق دربه في الجهاد والمقاومة.

لقد نجا أيمن من محاولة الاغتيال التي استشهد فيها أحمد، ولكنه لحق به بصحبة أمه المجاهدة.

وإمعاناً في الحقد الصهيوني المتجذر في نفوس الصهاينة، يحتجز جنود الاحتلال جثماني الشهيدين لأكثر من ثماني ساعات متواصلة، ولم يفرج عنهما إلا قبيل ساعات الغروب، الأمر الذي أدى الى تضارب الأنباء حول هوية الشهيدين، وسرت شائعات مفادها بأن الشهيدين هما سعاد وابنها عبد الله مما ضاعف من وقع الحدث على الأهل والأقارب والأحباب .

لن ننساكِ أُمَّ الشهيد

وما أن أفرج عن الجثمانين حتى خرجت مسيرة غاضبة تحمل الشهيدين وتطوف بهما شوارعَ جبل النار متحدين ظروف حظر التجول المشدد والمفروض على المدينة منذ أسبوع ، وتنطلق الحناجر بالتكبير والهتاف مطالبين القوى المجاهدة بالثأر والانتقام لدماء الشهيدين .

ويسجّى جثمان الأم الى جانب ضريح ابنها الشهيد أحمد ، لتكون الى جانبه جسداً، والى جانبه روحاً في جنات النعيم إن شاء الله . وقد بدت عليها ابتسامة الفرح بلقائه، وكانت مفتّحة العينين ، وترفع أصبعها بعلامة التشهد[1] . كرامةً من الله لها ، وعلامةً على حسن خاتمتها .

(١) نقلاً عن موقع صابرون بتصرف . www.sabiroon.org

الزوجان ياسر و إسلام طه :
تقاسما شظف العيش و مرارة المطاردة ..
و ذاقا حلاوة الشهادة معا !!

تمزقت الأجساد

فعلت صواريخ الأباتشي فعلتها فمزقت أجساد أفراد العائلة الثلاثة و سائق السيارة الى أشلاء ، و أصبحت الأجسام متفحمة ، بعد أن أطلقت طائرات الأباتشي خمسة صواريخ على السيارة بالقرب من مسجد أمان ، فانقلبت السيارة على أثر القصف واندلعت فيها النيران ، وقد اختلطت الدماء و الأشلاء مع بعضها ، وحتى الصواريخ لم ترحم الطفلة أفنان ابنة الثمانية أشهر التي اختلط دمها بالحليب الذي كانت تحتويه مصاصة حليبها الصناعي واحترق جسدها .

خرجت الجموع التي قدرت بأكثر من ثلاثين ألفاً ، لتستقبل الشهيد ياسر طه أبو حذيفة الذي ارتقى هو ، وزوجته ، وطفلته أفنان على أرض مدينة غزة ، بعد أن أصابتهم صواريخ ، أطلقتها طائرات الحقد الصهيوني على السيارة التي كانوا فيها الخميس ١٢/٦/ . . ٢٠٠٣.

إسلام .. رفيقة الدرب المخلصة لزوج حتى في الشهادة

لم تكن إسلام الشهيدة مجرد زوجه كباقى الزوجات تجلس في البيت لتعد الطعام وتهتم بشؤون المنزل وتنتظر عودة زوجها فحسب . . بل كانت شريكة بمعنى الكلمة في كل شيء . . حتى العمل العسكري ، فمنذ اليوم الأول الذي التحقت فيه زوجاً للشهيد

ياسر وهي تعرف أن النهاية قد تكون أقرب لها من رمشة العين . . . إلا أنّها أصرت على رفقته ، مجاهدة ، صابرة ، متمنية الشهادة إلى جانبه .

شاركته في أصعب الأعمال

إسلام عبد الله الجراح . . ابنة خالة الشهيد ياسر ، تزوجته وهي تعرفه جيداً ، ليس ذلك فحسب بل شاركته في أموره العسكرية ، وخاصة في أعمال التصنيع العسكري ، وخاصة تلك التي كان يقوم بها داخل المنزل ، بل وكانت عندما يستعصى على ياسر القيام بشيء في منزل الزوجية ، تخرج معه إلى أماكن العمل البعيدة . . و قد تستمر معه مدة ٣ أيام متتالية خارج المنزل . . كانت الشهيدة إسلام معه تجهز مدافع الهاون والقنابل ، وأي أشياء أخرى كانت قادرة على القيام بها .

كانت تقوم بهذه الأعمال بنية الاستشهاد

كانت الشهيدة إسلام تقوم بهذه الأعمال بنية الاستشهاد حيث كانت دائماً تخبر زوجها الشهيد ياسر أنها تتمنى الشهادة معه وإلى جانبه ، و حقق الله لها ما تمنت . . نحسبها كذلك و لا نزكي على الله أحداً . كانت الشهيدة إسلام الجراح قد تدربت على حمل السلاح وإطلاق النار ، حتى وصلت لدرجة عالية جداً من الدقة في إصابة الأهداف الوهمية بسلاح زوجها الشخصي من نوع جليلو (مدفع رشاش أتوماتيكي صناعة صهيونية)

حامية العرين

وعند خروج ياسر من المنزل كانت الشهيدة إسلام تمتشق سلاحها وتصنع القنابل لتدافع عن منزلها وعن بيت زوجها ولعمله وسره الذي كانت تؤمن عليه لحظة خروجه . الشهيدة الطفلة أفنان ذات العام الواحد التي سقطت – لا بل ارتقت – مع أبويها إلى العلا شهيدة إن شاء الله رحمها الله .

وكان ياسر يعلم أنه لن يغادر هذه البقعة من الأرض ، إلا وقد أخذ معه كل من أحب ، فقد كان يداعب طفلته أفنان قبل لحظات من استشهادها معه وأمها قائلاً هل تحبين أن تستشهدي معي يا بابا ... ؟؟ فكانت أمنية ما لبث أن تحققت و ارتقوا جميعاً شركاء في الدنيا . . شركاء في الآخرة شهداء في الجنة بإذن الله[١] .

(١) نقلاً عن موقع صابرون بتصرف . www.sabiroon.org

الشقيقتان دلول : شهادة الدم .. طغت على شهادات التقدير !!!

لم تكن الشهيدة سامية دلول – ٢١ عاماً – لتفارق شقيقتها الشهيدة ماجدة – ٢٥ عاماً –، ولو للحظة واحدة . ولذا فإن الحديث عن إحداهما بالضرورة أنه سيعود على الأخرى . وليس أدل على ذلك من أن اسميهما كانا ملتصقين على رأس كل شهادات التقدير التي حازتا عليها في المجالات المجتمعية والنفسية والتربوية .

و كانت الشهيدتان قد لقيتا حتفهما جراء إصابتهما بشظايا الصواريخ التي أطلقتها الطائرات الصهيونية على سيارة الشهيدان تيتو مسعود و سهيل أبو نحل من قادة كتائب الشهيد عز الدين القسام في حي الزيتون بغزة بتاريخ ١١/ ٦/ ٢٠٠٣ .

حب العطاء

كانت الشهيدتان من الناشطات في كثير من المجالات التي تخدم المجتمع الفلسطيني ، و أفنتا معا حياة اجتمعتا خلالها على حب للعطاء بلا حدود منذ نعومة أظفارهما ، غايتهما من ذلك رسم البسمة على شفاه المحيطين بهما . غير مدخرين في سبيل ذلك المال والوقت والراحة وحتى النفس؛ لتكلل حياتهما الحافلة بالتضحية بشهادة طالما تطلعتا لها بشوق شديد وسخرتا طاقات شبابهما المتقدة لخدمة الواقع الفلسطيني الذي احترق قلبيهما ألما عليه . وتطلّعتا بشغف لتغييره .

رفاق الدرب..

... هذه شهادة تقدير في الإسعافات الأولية مصدقة من الهلال الأحمر الفلسطيني .

وتلك في تربية الأطفال مجازة من التربية والتعليم. وثالثة في إدارة الأزمات مصدقة من مركز الدكتور فضل أبو هين . ورابعة في الكمبيوتر وخامسة . . . إلخ ، هذا ما قالته والدة الشهيدتان و هي تقلب تلك الأوراق التي كانت شهادة بحق على ما قدمتاه خدمة لأطفال ونساء وشيوخ ورجال حيهما ، حي الزيتون المشهور بالحاجة والعوز.

جسد لم يهدأ ..!!

و أضافت الأم (أم هاني) : لم يكن جسداهما ليسكن للحظة واحدة. أمضتا حياتيهما وماليهما ووقتيهما ونفسيهما في العطاء داخل الأسرة الصغيرة، والعائلة الكبيرة، والشارع المحيط، والحي بأكمله. . لم تعرفا معنى الادخار... . وتابعت أم هاني بكلمات متقطعة ... لقد كان اسما ماجدة وسامية معروفين لدى كل ذوي الحاجة والعوز في حي الزيتون بغزة ، فكثيراً ما كان الأطفال والنساء يأتون إلى باب بيت الشهيدتين طالبين المساعدة الطبية ، و التربوية ، و النفسية ، وكل ذلك لم يكن بمقابل يذكر ... .

شهادة ربانية..

رحلة أمضتاها معا مع العطاء والتضحية. وعشق للعمل التطوعي، وتضحية من أجل الآخرين، فكانت حافلة بشهادات التقدير الدنيوية، وتكلّلت في النهاية بشهادة تقدير إلهية إن شاء الله، إثر قصف صهيوني لسيارة المجاهدين مسعود و أبو نحل . وتؤكد أم هاني بصوت مخنوق : أن الشهيدتين رغم أنهما كانتا تقضيان معظم أوقاتهما خارج البيت في العمل التطوعي في الروضة القريبة من البيت ، أو في المراكز الأهلية الطبية منها والمجتمعية ، إلا أنهما لم يقصرا في عمل البيت ، مشيرة إلى أن الشهيدتين كانتا تقومان بأعمال البيت على أكمل وجه ... .

سعادة لا توصف ..

اقتحمتا كل الأبواب الموصدة، وامتدت أيديهما لذوي الحاجة ، سواء أكان ذلك من خلال روضة (علي بن أبي طالب) القريبة من بيتهما، أم من خلال بحثهما الذاتي في الخفاء عن ذوي الحاجة لتقديم المعونات النفسية والطبية والتربوية والتدريبية . . . وكل ذلك ليس لحمد أو شكر من عباد الله ولكن ابتغاء لوجهه الكريم .

و تؤكد نوال - ٢٢ عاماً- زوجة أخيهما التي كانت مرافقة للشهيدتين في أعمالهما التطوعية - بحُرقة - : أن الشهيدتين كانتا تقومان بالعمل التطوعي بصدر رحب، وسعادة لا توصف؛ مضيفة أنهما كانتا يقمن بذلك وكأنهما تتقاضيان الأموال الطائلة .

وتذكر نوال : أنهما كانتا في الحقيقة يتبرعن من مالهن الخاص في سبيل إنجاح العمل التطوعي الذي غالباً ما تقترحانه . مضيفة أنهما حظيتا بالحب من أطفال ونساء وشيوخ الحي عن بكرة أبيه.

دموع خجولة..!!

اما والد الشهيدتين أبو هاني- ٦٠ عاما- الذي بدّتْ على وجهه معالم الحزن الشديد لفراقهما ، أشار إلى أن الشهيدة سامية مضت في حبها للعطاء حتى الرمق الأخير من حياتها. مضيفاً أنه عندما سقط الصاروخ الأول على سيارتهما واستشهدت شقيقتها ماجدة ، لم تفر الشهيدة سامية لتنجو بنفسها بل بقيت بجوار شقيقتها محاولة تقديم الإسعاف لها، الأمر الذي أمكن الصاروخ الآخر منها فلحقت بشقيقتها ورفيقة دربها شهيدة ... وعندها انهمر الدمع من عيون المسن أبي هاني وانسحب من المجلس مدارياً دموعه الخجوله .

الشهيدتان سامية وماجدة دلول آثرتا على نفسيهما الغير في أوقات يعيش فيه الشعب الفلسطيني في خصاصة ، وضيق في العيش ، فعاشتا معاً حياة لم تلتفتا خلالها لذواتيهما . فقدمتا الغالي والنفيس ، ورحلتا معاً شهيدتين مكرمتين من الله تعالى على عطاء فريد إن شاء الله [١] .

(١) نقلاً عن موقع صابرون بتصرف . www.sabiroon.org

الشهيدة نهى صبري سويدان تركت خلفها عشرة أطفال بعد أن مضت شهيدة تحت قصف الاحتلال في منزلها

تبدأ حكاية الشهيدة نهى صبري سويدان - ٤٠ عاماً - زوجة شكري المقادمة ، عندما كانت تجوب بيتها باحثة عن مكان آمن تؤوي فيه أطفالها العشرة ؛ لتحميهم من رصاص وقذائف العدو التي كانت تملأ المكان. وتنتهي عندما تم انتشالها من بين الركام . . . شهيدة . . . وتحتها طفلها الصغير يوسف - ٣سنوات - ينبض بالحياة الذي كانت تلفه بذراعيها ، عندما دمرت قوات الاحتلال المنزل المجاور لبيتها أثناء اجتياحها لمخيم البريج وسط قطاع غزة فجر الاثنين ٣/ ٣/ ٢٠٠٢ ، فتهاوت دارها الصغيرة فوق رؤوس أسرتها فتسقط هي و يصاب زوجها و أطفالها العشرة .

حتى الجنين

لم ترحل نهى لوحدها بل رحل معها جنين كانت تضمه في أحشائها ، لم يتبق أكثر من يومين ليرى النور ، بالإضافة إلى رحيل السعادة من عيون أطفالها معها ، ولكن على ما يبدو أن العدو الصهيوني أبى إلا أن يقتل الحلم وهو في أحشاء أمه.

يقول شكري زوج الشهيدة: بينما كانت زوجتي تحيط أطفالها بذراعيها محتارة كيف تحمي أطفالها من القصف الشديد الذي كان يدوي في المكان؛ وقع انفجار عنيف أسقط جدران البيت علينا ، فأصبحنا جميعاً تحت الركام كنت أنا أول من قام من تحت

الركام، فلم أجد حولي زوجتي أو أحداً من أطفالي العشرة. و سمعت صوت نهى وهي تستغيث. . أنجدوا أولادي . . أنجدوا أولادي . . . بهذه الكلمات وصف الزوج تلك اللحظات الرهيبة التي غيرت مجرى حياته و حياة أسرته .

وعندها أخذ شكري ينبش بيديه العاريتين الركام باحثاً عن أطفاله وزوجته كالمجنون، وأخذ يكبر ويستغيث بالجيران، ولكن أحداً لم يخرج منهم خوفاً من القصف الشديد.

ويضيف شكري المقادمة : شعرت لحظتها بأنني أمتلك قوة لم أعهدها في نفسي من قبل . . فنجحت بحمد الله من انتشال أطفالي من المكان بسرعة جنونية ...

غير أنه ما أن خرج من المنزل حتى فقد رشده و غاب عن الوعي ولم يشعر بنفسه إلا وهو بين الأطباء في المستشفى .

البحث عن الأم .. بين الأنقاض

الطفل محمد- عمره ثمان سنوات - كان من شهد اللحظات الأخيرة من حياة أمه وسمع كلماتها الختامية. . . يقول محمد: عندما خرجت من بين الركام شعرت بدوار شديد في رأسي الذي كان يسيل دماً ، ورغم ذلك أخذت أساعد الجيران في البحث عن أمي و إخوتي . . .

ويتابع : أن الجيران تمكنوا من انتشال كل إخوته ما عدا أمه الأمر الذي دفعه للصراخ (الله أكبر . . الله اكبر) والنداء عليها علّها تسمعه. ويقول أنه في تلك اللحظات سمع صوت أمه وهي تقول: ... لا إله إلا الله. محمد رسول الله . . لا اله الا الله .

الوصية.. و الشهادة

و عندما عثر الأهالي الذين هبوا لإنقاذ الأسرة على الأم الشهيدة بين أنقاض المنزل

كانت تلتقط أنفاسها الأخيرة بصعوبة بالغة . حيث يؤكد ولدها محمد أن أحداً لم يستطع نقل أمه إلى المستشفى لأن المكان كان محاصراً بقوات الاحتلال التي قامت بإطلاق النار باتجاه السيارة التي كانت تحملها عندما حاولوا نقلها باتجاه المستشفى فتركها الناس على الأرض وهربوا جميعا !!!

و أردف محمد قائلاً : بقيت بجوار أمي أنظر إليها وتنظر إلي إلى أن قالت لي (يا محمد حافظْ على إخوتك) ، وأعطتني محفظة فيها نقود كانت قد أحكمت قبضتها عليها خوفاً من أن تقع في أيدي الجنود الصهاينة . . . ويشير أنه بعد أن مسحت أمه على وجهه بيدها و لفظت الشهادة ، فارقت الحياة وهي تنظر إليه آخر النظرات ، لتلحق بعد ذلك بركب الشهداء .

نسمة – ١٦ عاماً – أكبر أبناء الشهيدة ، باتت أماً لعشرة أطفال . . . أكبرهم لا يتجاوز الـ ١٥ عاماً رغماً عنها و قبل الأوان ، و تقول نسمة : عندما رحلت أمي تركت لي خلفها عشرة من الأطفال لا أعرف كيف سأربيهم ... ، وأضافت بعيون تبرق دمعاً سأترك مدرستي و أربي إخوتي . . . ، ثم تركتنا و أخذت تبكي بحُرقة !!![1] .

---

(١) نقلاً عن موقع صابرون بتصرف . www.sabiroon.org

الشهيدة وداد العجرمي

جلست الطفلة أسماء ابنة الست سنوات ... تهدهد أخاها الطفل علي ابن الأربعة شهور... وتمثل دور الأم لإخوتها الصغار ... عبد الرحمن ثلاث سنوات ونصف، وعدي سنتان ونصف ... بعدما فقدت أمها الشهيدة (وداد العجرمي) التي استشهدت بنيران قوات الاحتلال الصهيوني بتاريخ ٢٤/ ١١/ ٢٠٠٣م.

حرمهم الاحتلال من أمهم طيلة حياتهم

وقف والدهم الجريح جمال عبد الرحمن العجرمي- ٣٤ عاماً - بجانبهم وفي قلبه غصة من الألم والجرح الدفين وقال: كيف يستقبل أطفالي هذا العيد وقد حرموا من الفرحة منه بعدما فقدوا أمهم وأصبحوا أيتاماً بقرار صهيوني . . إنني أتمزق من الألم عندما ينادي ابني عدي ذو السنتين والنصف ويقول لي: أين أمي؟ ولا أستطيع الرد عليه، لقد حرمهم الاحتلال من أمهم طيلة حياتهم . . ولا أحد يعوضهم حنان الأم. . .

جمال. . الذي خرج لإسعاف الجرحى عندما ارتكبت قوات الاحتلال مجزرة بشعة بحق أهالي رفح ولم يكن يعلم أن جنود الاحتلال الصهيوني سيُجْهزون على زوجته ويصيبون شقيقيه الاثنين جزاء لما قدم من مساعدة للجرحى الذين لجأوا إليه لمساعدتهم.

عند ساعات الفجر

جمال يتذكر تلك اللحظات العصيبة في حياته، ويقول: عند ساعات الفجر سمعنا

صوت إطلاق نار كثيف جداً بالقرب من منزلنا، وما إن توقف إطلاق النار حتى سمعنا وقع أقدام تتجه نحو المنزل ، وللوهلة الأولى حسبنا أن هؤلاء هم جنود الاحتلال إلا أننا بعد ذلك سمعنا أنيناً وصيحات تنبعث من المكان ...

المجزرة

و أكمل: خرجتُ خلسة أمام المنزل فوجدت عدداً من الجرحى وقد أصابهم رصاص الاحتلال الصهيوني ، وما إن اقتربت منهم لأمد يدي لمساعدة أحدهم ؛ حتى انهال الرصاص عليّ من كل جانب ، وبالرغم من انبطاحي أرضاً من مرمى الرصاص إلا أنني أصبت في رأسي ، وعندما سمعت زوجتي وإخوتي صوت استغاثتي خرجوا لإسعافي مع باقي الجرحى، فاقتربت مني زوجتي ، وارتكزتُ عليها ، وأخذَتْ تقدم المساعدة لباقي الجرحى ... .

و تابع يقول: لم يرُقْ هذا المشهد لقناصة الاحتلال الذين اتخذوا من المنازل القريبة منصات للقناصة وقد حولوها إلى ثكنات عسكرية كانت إلينا أسرع، وهربنا من المكان، وركبنا سيارة لكي نخرج إلى المستشفى ، ولكن رصاص الغدر الصهيوني استهدفنا ، فأُصبتُ انا بما يزيد عن خمسة رصاصات في أنحاء متفرقة من جسدي، وأصيبت زوجتي بجانبي وأخواي الاثنان ، وغرقنا في بركة من الدماء ، وبعدها فقدت الوعي ...

في المستشفى

و أشار إلى أنه أفاق في مستشفى غزة الأوروبي وقد تهشَّمَتْ ذراعاه ، وأصيبت جمجمته بكسر، و أُصيب أيضاً بجروح بالغة في بطنه ، وأُدخل غرفة العناية المركزة .

و قال: لم أدرِ ما أصاب زوجتي ، وكلما استفسرت عنهم قالوا لي : إنها في مرحلة العلاج . وفي اليوم الثالث لاستشهاد زوجتي جاء أحد أقاربي ولم يكن يعلم أنني لا

اعلم بخبر استشهاد زوجتي ، وقدَّم لي المواساة والعزاء ، فأصابتني صدمة شديدة ، ولم أصدق ما حلَّ بعائلتي وأطفالي ... .

ويَسْرَحُ جمال بخياله الواسع ، يقول متذكراً زوجته : كانت مثالا للزوجة الصالحة التي تحفظ زوجها وتحافظ على أطفالها ، كانت حنونة بطبعها ، على خُلُق في سلوكها ، ورحلت شهيدة – إن شاء الله – مسربلة بدمائها . . .

أين ماما ؟ !..

ولم يُخْفِ جمال حجم المسؤولية التي أُلقيت على كاهله بعد استشهاد زوجته ، وهي تربية أبنائه ، ويستدرك جمال تلك المسؤولية ويقول : كلما نظرت إلى عيون أطفالي أجدها حزينة ، واليُتْمُ واضحٌ على وجوههم ، وهذا يمزق أحشائي ، وأكثر اللحظات مرارة تمر علينا عندما يأتي عيد الأضحى وزوجتي وداد بعيدة عنا . . .

وبلغة الأطفال قالت أسماء ٦ سنوات : أشعر بالحرمان أنا وإخوتي . . رحلت ماما وتركتنا . كل الأطفال لهم أمهات ونحن محرومون منها ، وكلما نسأل بابا عنها يقول لنا : رحلت الى إلجنة . . .

ومسحَتْ أسماء دموعها بيدها وصرخت : اليهود قتلوا ماما . . اليهود قتلوا ماما[(١)] .

(١) نقلاً عن موقع صابرون بتصرف . www.sabiroon.org

نيفين أبو رجيله..
رحلت قبل أن يشاركها الأهل فرحة التفوق

لم تمهل قوات الاحتلال الشهيدة نيفين أحمد أبو رجيلة -٢٠ عاماً - فرصة حتى تكمل فرحتها وتبلّغ أهلها بحصولها على درجة الامتياز في الفصل الدراسي الثاني ؛ إذ عاجلتها صواريخ طائرات الاحتلال الصهيوني لتنتقل من الدنيا إلى الآخرة، وترقى بأغلى شهادة وأعظم أجر.

احتلال يمزق الفرحة

الشهيدة نيفين أبو رجيلة خرجت مبكراً من منزلها في بلدة خزاعة شرق خان يونس متوجهة إلى الجامعة الإسلامية حيث تدرس في كلية العلوم لتعرف نتائج الامتحانات.. وهناك اكتشفت أنها حصلت على درجة الامتياز فعادت أدراجها تغمرها الفرحة لتبلغ ذويها بالخبر السار ، لكن صواريخ الاحتلال كانت الأسرع إليها.

و قد استشهدت نيفين مساء الأربعاء ٢٦/ ٦/ ٢٠٠٣ قرب مدينة خان يونس جنوب قطاع غزة إثر القصف الصهيوني الهمجي لسيارة المجاهد القسامي محمد صيام ، حيث كان يمر صدفة قرب المكان في طريق عودتها إلى منزلها .

فتح الحاجز.. ولكن

والد الشهيدة أحمد أبو رجيلة - ٥٤ عاماً - قال بأسى يتقطر من كلماته الباكية : كنا ننتظر نتيجتها لنحتفل بتفوقها ونجاحها الذي يؤهلها للانتقال للسنة الثالثة في الجامعة،

ولكنها مضت بعد أن خطفها الصهاينة منا . . لقد كانت كالوردة المتفتحة ، حسبي الله ونعم الوكيل ...

أما (آمال) ٤٨ عاماً والدة الشهيدة فقالت بصوت قد بحّ من ألم الفراق و صدمة تحول الفرحة إلى أسى لا يمحيه الزمان إن عمها جاء من السعودية وكان يريد رؤيتها فهو غائب منذ سبع سنوات ، وعندما اتصلنا بها نسألها عن سبب التأخير تحدثت عن المعاناة التي تجدها على حاجز المطاحن وإغلاق الطريق . . إلا أن الطريق قد فتح ولم تعد نيفين إلا جثة هامدة شهيدة طاهرة ...[(١)].

(١) نقلاً عن موقع صابرون بتصرف . www.sabiroon.org

كيف حوّل الاحتلال الطفلة نور وأمها رنده إلى أشلاء

لم تكن رندة خالد الهندي (٤٤ عاماً) تعلم عندما احتضنت طفلتها نور (عامان) لتحميها من الرصاص الصهيوني ، أن هذا الرصاص سينال منها ومن جسد طفلتها ليسرق منها روح الحياة لتمضيا شهيدتين إلى عالم الخلود إن شاء الله تعالى .

لحظات قليلة

الشهيدة الهندي وطفلتها كانت ضمن مجموعة من ثمانية أفراد هم أطفالها وزوجة ابنها تستقل سيارة من نوع (فولكس فوجن) في طريقها إلى بيتهم في خان يونس بعد أن أمضوا ليلة فرح شاركوا فيها أحد أقاربهم فرحة الزفاف بغزة . . لحظات قليلة حتى انقلب الفرح إلى هم وخوف وحزن . . .

ما إن اقتربت السيارة من محطة الجعل قرب مفترق نتساريم على طريق البحر في منطقة الشيخ عجلين وفي حوالي السادسة صباحاً . . حتى كان الرصاص يتناثر ويلمع في الضباب الكثيف الذي يكاد يمنع الرؤية . . ...

خمس ساعات من وقوع الحادث

أصرت والدتي معي أن نعود مبكرا إلى منزلنا في زحمة الطريق على حاجز المطاحن وأبو هولي ... هذا ما قاله عمر -٢٠ عاماً- ابن الشهيدة الذي كان يقود السيارة التي وقع بها الحادث وأصيب بشظايا سطحية في ظهره ، لم ينتبه لها إلا بعد نحو خمس ساعات من وقوع الحادث . .

وتابع حديثه وهو بالكاد يتمالك نفسه : بمجرد أن اقتربنا من المحطة في ظل الضباب

الشديد ، حتى سمعنا صوت إطلاق نار وأشياء تلمع . .

فصرخَتْ والدتي التي لم تتوقف طوال الطريق من الدعاء والاستغفار ، وتوصيني بألا أسرع ، وطلبت من الجميع الانحناء لتجنب أي رصاص طائش ؛ خصوصاً أن مواقع الاحتلال في نتساريم قريبة من المكان .

توقف إطلاق النار

وتدخلت نرجس الهندي زوجة ابن الشهيدة والتي كانت تجلس بجوارها وقالت: لقد احتضنت طفلتها (نور) بقوة بين ذراعيها وانحنت . . وعندما حدث إطلاق النار أسرع عمر بالسيارة ليتجاوز المكان . . وعندما توقف إطلاق النار رفعت رأسي وطلبت من عمتي رفع رأسها ولكنها لم تردَّ علي . .

وتابعت بصوت حزين: ما بك ؟! لقد صرختُ وحاولتُ تحريكها ، فاكتشفتُ أن رأسها ووجهها من الناحية اليسرى مليء بالدماء ، وبين ذراعيها الطفلة نور وكان رأسها مهشماً بالكامل حيث أصابته رصاصة مباشرة . وانهمرت دموعها . .

دمها تناثر

ثم توقفت لحظات لتضيف: لقد كان المشهد مخيفاً مرعباً . . فبجواري عمتي غارقة في دمائها وعلى حجرها طفلة اكتشفتُ أن دمها تناثر على كرسي وملابس الشهيدة . وأشارت إلى أنها وضعَتْ رأس الشهيدة على كتفها ، وحاولت وضع يدها على موقع إصابة الشهيدة ، ولكنها شعرت أنها استشهدت حيث لم يصدر منها أية حركة .

قتلوا فرحتنا غضب الله عليهم

أما خلود - وهي زوجة الابن الآخر - للشهيدة - فطوال الحديث لم تكفَّ عن البكاء . . الذي لم يقطعه سوى صرخاتها بين الفينة والأخرى: لقد قتلوا . . الطفلة الصغيرة . . وجهها البريء والدماء تناثرا في المكان . . لم نعرف ماذا نفعل ؟ لقد اختارها

الله شهيدة إن شاء الله . . كان يمكن أن نكون جميعاً شهداء . . . ثم تصمت طويلا لتعاود الحديث وتقول: طوال الطريق كانت خائفة علينا وكأنها تشعر أن شيئاً ما سيحدث فبقيت تردد: يا رب استر يا رب . . لقد قتلوا فرحتنا غضب الله عليهم . .

ولم تستطع خلود أن تكمل حديثها بعد أن أجهشت في البكاء واختنقت الكلمات في حلقها ، فسارَعَ بعض النسوة لاصطحابها إلى إحدى الغرف بالمنزل .

إلى مقبرة الشهداء

الشهيدة وطفلتها نقلتا إلى مستشفى شهداء الأقصى في دير البلح قبل أن يُنقلا إلى مستشفى ناصر ؛ حيث كُفنتا براية لا اله الا الله ، وحمل جثمانهما الطاهر على أكتاف الآلاف ليصلَّى عليهما ، ومعهما الشهيد خميس شراب ؛ لتوارى الجثامين الطاهرة مقبرة الشهداء في المخيم .

زوج الشهيدة ووالد الشهيدة الطفلة نور المواطن محمد الهندي (٥١ عاما) حمد الله وقال : الذي منَ الله محمود ، وقال إنه يشعر أن روح ابنته تحلق في الجنة مع الطفلة إيمان حجو وسارة ومحمد الدرة وكل شهداء فلسطين إن شاء الله . .

رحم الله أطفالنا الرضَّع

وبالقرب من منزل العائلة توقفت السيارة التي كانت تقل لها العائلة ، وبدت على جانب السيارة آثار نحو خمس رصاصات اخترقت الباب ، واخترقت الحديد ؛ لتوقع هذه المأساة التي راح ضحيتها الشهيدة وطفلتها الرضيعة .

يشار إلى أن الشهيدة لها ١٣ ولداً ، سبعة منهم ذكور ، وست منهم إناث . تسكن العائلة في حي الأمل بخان يونس في منطقة تتعرض باستمرار لقصف صهيوني من مستوطنة موراج (١) .

---

(١) نقلاً عن موقع صابرون بتصرف . www.sabiroon.org

الإرهاب الصهيوني لحق بالأطفال في أحضان أمهاتهم

الطفلة الرضيعة

والد الطفلة معاق بسبب رصاص الاحتلال ، و ابنة عمها قتلها الصهاينة ، وعائلتها جريحة .

قذائف العدو الصهيوني حولت جسد الرضيعة الفلسطينية إلى أشلاء و أمها في غيبوبة .

الجريمة الصهيونية البشعة التي ارتكبتها قوات الاحتلال بحق الطفلة الرضيعة إيمان أحمد حجو التي تبلغ (٤ شهور) فقط في (مدينة خان يونس) ظهر الاثنين (٧ ابريل) تؤكد الى أي مدى وصل الاستهتار بحياة الاطفال الفلسطينيين ، وتبلد الضمير العالمي ، وإذا كان العالم كله قد شهد جريمة قتل الطفل محمد الدرة ، فإن آخر "أنة" أطلقتها الرضيعة إيمان تتصل بآخر صرخة استجداء من الشهيد الدرة .

فقد خطفت قذيفة دبابة صهيونية إيمان من أحضان أمها سوزان حجو قبل أن تكتمل فرحتها بمولودتها البكر التي انتظرتها بشوق عاماً ونصف . وبدل أن تفرح الأم سوزان في عرس ابنة عمتها – التي قدمت من دير البلح حيث تسكن وزوجها أحمد لحضوره – ؛ تحولت إلى قسم العناية المركزة في مستشفى ناصر في خان يونس بعد أن أصيبت بجروح خطيرة هي وإخوتها الأطفال محمود البالغ عامان ودنيا ٦ أعوام وأمها .

والد الشهيدة الرضيعة معاق

ولكي تكتمل فصول المأساة فإن والد الشهيدة الرضيعة معاق ولا يستطيع الحركة بعد

أن أُصيب برصاص الاحتلال أيضاً في مدينة أريحا قبل ستة شهور ؛ حيث كان يعمل في جهاز الاستخبارات العسكرية .

وفي العناية المركزة حيث ترقد الأم سوزان وإخوتها ؛ تتفطر القلوب عندما تصحو من غيبوبتها وتهمس بصوت خافت : . . . إيمان . . . إيمان ، ثم تبكي بألم عندما تتذكر أنها فقدت إيمان التي ماتت في حضنها ، وتعود إلى غيبوبتها .

أشلاء الشهيدة شاهدة على عظم الجريمة

وهناك أمام منزل أبو جبر حجو جد الشهيدة تظهر بقع الدماء التي نزفت من سوزان وأمها والطفلين محمود ودنيا . . كذلك بقيت بعض قطع صغيرة من أشلاء الشهيدة الرضيعة إيمان ، كلها شاهدة على عظم الجريمة وحقد الصهيونية وظلم العالم الصامت على قتل الطفولة .

أما عن الذنب الذي اقترفته الرضيعة ؛ فيقول عمها بمرارة وسخرية : "نعم كانت إيمان بنت الأربعة شهور تطلق قذائف الهاون على المستوطنات اليهودية لذا قتلوها "!!!

عائلة الشهداء

وفي عائلة حجو . . إيمان ليست الطفلة الشهيدة الأولى فقد استشهدت بنت عمها بثينه ٥ سنوات في الانتفاضة الأولى برصاص قوات الاحتلال ، وكأن الذكرى بعد العشر سنوات التي انقضت على وفاتها ماثلة أمامهم اليوم باستشهاد إيمان التي جاءت مع أمها من دير البلح إلى خان يونس كي تقتلها قذيفة صهيونية بلا رحمة بعد أن تفجرت شظاياها في جسدها الصغير .

فروح هذه الشهيدة الرضيعة صعدت إلى السماء؛ تشكو الى الله فداحة الجرم

الصهيوني الذي ارتكب بحقها وصمت أهلها من المسلمين.

لبست الملابس الجديدة

لم تفهم الطفلة إيمان حجو ابنة الأربعة الأشهر أي معنى للانفجارات التي تدوي في كل مكان ، ولكن شعرت بحالة التغيير والإرباك التي أصابت والدتها وجدتها وخالاتها اللواتي كن متحلقات حولها يلاعبنها . . ويُلبسنها الملابس الجديدة التي اشتراها جدها مصطفى لحفيدته التي جاءت مع والدتها لزيارته والاطمئنان على الأسرة إثر تعرضهم للقصف عدة مرات خلال الأيام الأخيرة.

وكردة فعل لحالة الإرباك ودوي الانفجارات ؛ صرخت الطفلة بكل قوة ، فحملتها والدتها سوزان ٢٢عاماً ، وضمتها بقوة إلى صدرها لتسارع مع باقي افراد العائلة للخروج من المنزل خشية إصابته بالقذائف ؛ خاصة بعد أن سقطت إحدى القذائف في سوق البلدية القريب ودمرت أجزاء كبيرة منه.

لحظة الاستشهاد

لحظات من الخوف والهلع تصاعدت مع قوة دوي القذائف التي تطلقها الدبابات الاحتلالية في كل مكان ، ليسبق القدر ، وتطلق إحدى الدبابات المتمركزة في الموقع العسكري المطلّ على المنزل بحي الأمل قذائفها القاتلة ؛ لتَسْقط ثلاث منها على بوابة المنزل حيث كانت العائلة تهمّ بمغادرة المكان على أمل النجاة من جحيم القصف الاحتلالي الذي أخذ يزرع الدمار والخراب في كل مكان ، لتستشهد على الفور الطفلة إيمان وهي في أحضان والدتها وتتناثر أشلاؤها في كل مكان على الجدران والطريق ؛ لتبقى شاهداً على دموية الاحتلال واستهدافه للمنازل السكنية والمنشآت المدنية.

الشهيد محمد الدرة في الذاكرة

مشهد استشهاد الطفلة بين أحضان والدتها ذكّر المواطنين الذين شاهدوا الجريمة التي غابت عنها عدسة الكاميرا بحادثة استشهاد الطفل محمد الدرة بين أحضان والده الذي هز ضمير العالم.

سوزان الأم المسكينة التي أصابتها أيضاً شظية بجروح بالغة في جنبها لم تكن تشعر بإصابتها واحتضنت طفلتها بقوة وخرجت تبحث عن مغيث، في الوقت الذي كانت آلام ابنتها ودماؤها وأشلاؤها التي تناثرت في كل مكان تزيد من آلام جراحها.

وتخضب المكان بالدماء الطاهرة

هول المشهد

وتحول المكان الذي أصيبت فيه أيضاً جدة الشهيدة سامية حجو ٣٨ عاماً وطفلاها دينا ٦ أعوام- ومحمود عام ونصف العام- بجروح بالغة إلى مزار للمواطنين الذين أصيب بعضهم بحالات اغماء لهول مشهد الدماء، وأشلاء الطفلة البريئة الغضة المتناثرة.

إيمان حجو.. ملاك صغير يذهب الى الجنة

كانت إيمان حجو (٤ أشهر) ترقد في كفنها الصغير في بيتها في مخيم دير البلح، محاطة بالزهور، وتعلو قسمات وجهها نصف صرخة لم تكتمل بعد.. في الكفن كانت صغيرة وآثار شظايا القذيفة التي قتلتها واضحة للغاية، لم تأخذ من النعش سوى مساحة صغيرة ربما لتترك مساحة للعلم وعشرات الورود التي تناثرت فوق جسدها الغض.

أطفال المخيم

جاء أطفال المخيم، تركوا مدارسهم وألعابهم واصطفوا في طابور طويل، لا

ليداعبوها ، ولكن لإلقاء نظرة الوداع الأخيرة وهي تستعد لرحلة الجنة إن شاء الله .

أطفال صغار بعمر الورد هتفوا لإيمان التي قتلتها قذيفة إرهابية صهيونية وهي في حضن أمها . جاء الأطفال لوداعها وهم لا يعرفون معنى الموت والقذائف والدبابات التي تحاصر مخيماتهم وتحيل السعادة إلى حزن كبير.

لحظات الوداع الأخير.. دموعٌ وتكبير

توقفوا أمامها في فناء المنزل محدقين في وجهها الصغير ، بعضهم سالت دموعهم غزيرة ، واخرون ارتجفوا من هول المشهد ، بينما انحنى بعضهم وطبعوا على جبينها الغض قبلة بريئة ومضوا يكفكفون دموعهم. جاءت جدتها (أم والدتها) وربَّتَتْ بكفيها على رأسها وقبلتها. نظر الرجال فهالهم المشهد وبكوا بصمت أفسح المدى لصيحات الأطفال مكبرة في الخارج: الله اكبر الله اكبر.

قالت الجدة : الله يرحمك يا إيمان الله ، يخفّف عليك . ومضت تدعو الله أن ينتقم من قتلتها فيما انهمرت دموعها غزيرة . جاءت نساء المخيم وألقين نظرة الوداع عليها ، وقالت احداهن بحزن: اللهم صل على النبي؛ ما زالت جميلة . متمنية من الله أن يعوض أهلها خيراً .

ماذا فعلَتْ لكي يقتلوها ؟!

وقالت أخرى ودموعها تنهمر: ماذا فعلَتْ لكي يقتلوها ؟ وانسحبت مع النسوة اللواتي واصلن الهتاف في الخارج مع مئات تلاميذ المدارس . (أحضروا أباها ليودعها) طلب أحد الشبان من الحضور. فجاء محمد حجو (٢٠ عاماً) يسير على عكازتيه إثر إصابته قبل ثلاثة شهور برصاص المحتلين أثناء عمله في محافظات الضفة .

والد إيمان يطبع على جبينها قُبلته الأخيرة

ولدت إيمان طفلته البكر وهو في محافظات الضفة لم يشهد ولادتها ، ولكنه فرح مع زوجته سوزان ، وحلما أن يرياها عروساً تزف إلى عريسها وسط الزغاريد ، ولكنه اليوم يودّعها رضيعة قبل أن تنطق بكلمة (بابا) . . كان شبه منهار ، الدموع لم تفارق عينيه ، وعند رأسها توقف قليلاً قبل أن يخرّ باكياً على وجهها ، قبل أن يلثمها بعشرات القُبَل لآخر مرة .

وقال باكياً : إن استشهاد ابنتي هدية لكل العرب والمسلمين . وأضاف ساخراً : كانت تحمل قنابل ومدافع وصواريخ ضد إسرائيل لهذا قتلها جيش الإرهابي شارون .

وأضاف : إن العدو الصهيوني دمر أسرتي بقتل ابنتي وجرح زوجتي ، وأنا ما زلت أعاني من جراحي برصاصة صهيونية غادرة بانتظار عمليات جراحية أخرى .

وفي المستشفى كانت أمها سوزان تصرخ : إيمان جميلة : أريد إيمان . . أحضروها لي . تواصلت مراسم الوداع الاخيرة ، وانتظر آلاف الرجال والنساء في أزقة المخيم تحت حرارة الشمس للمشاركة في تشييع جثمانها .

الأطفال: غداً نلتقي في الجنة يا إيمان

حضر الأطفال واصطفوا ثم حملوها على أكتافهم تماماً مثل الرجال وهتفوا (بالروح بالدم نفديك يا شهيد) وأخذ أحد الأطفال يبكي وهو يحتضن صورة لإيمان ويقول شارون قتل إيمان وغدا نلتقي في الجنة . وهتف مئات الأطفال (يا شارون يا سفاح ليش تقتل الأطفال) .

ومضوا بها الى إحدى العربات والتفوا حولها ونظروا إليها بعيون دامية ، فيما

واصلت إيمان غفوتها الأبدية ، وبعد الصلاة عليها في مسجد المخيم انطلق موكب التشييع وسط مشاركة حاشدة من جموع أهل المخيم ومواطني المنطقة الوسطى .

إيمان.. هل كانت تعد عبوة ؟!

وقال شاب عبر مكبرات الصوت في مقدمة الموكب : قتلوا إيمان هل كانت تعد عبوة ناسفة ، أو تصنع المتفجرات ؟ أو تطلق صاروخاً على المستوطنة ؟ تعالت الصرخات وشقّت الهتافات طريقاً عالياً وسط بيوت المخيم .

وقال شاب آخر : القذيفة التي قتلت هذه الطفلة أثقل من وزنها عدة مرات .

وصرخ أبوها بحزن وهو يمسك بطفلته الصغيرة : لماذا تطلق يد الاجرام والقتل الصهيوني لتذبح شعبنا ؟ أطلق تساؤلاته دون أن ينتظر أجوبة ومضى ساخطاً مع ابنته ليلتحم مع المسيرة .

من سيكون الضحية القادمة ؟

نظر كثيرون في وجوه عشرات الأطفال الذين لم ينتعل بعضهم أحذيته فشاهدوا مسحة الحزن الذي تسلل بوضوح من أعينهم الصغيرة ، وصرخ شاب : من سيكون الضحية القادمة من بين الأطفال ؟

انسحب غالبية المشيعين بهدوء ،وفي مكان آخر كان شبان وفتية يقذفون مستوطنة (كفار داروم) اليهودية بحجارتهم ويسقطون جرحى . . إنه مشهد اليوم في مدينة دير البلح . [١]

---

(١) نقلاً عن موقع البواسل بتصرف www.abubasel.com

الفصل الخامس

معاناة المرأة الفلسطينية

- ❖ بعض جوانب معاناة فاطمة فلسطين
- ❖ من بين الدموع والأطلال والخيام
- ❖ الإرهاب الصهيوني في أرقام

ضُربت فتاة على رأسها حتى تخلع الخمار

(من الأشياء الحقيقية التي وجدت فيها تقارير تعتبر شيئاً هزيلاً من الناحية الإنسانية بشكل كبير ؛ هو ما يحدث للنساء الفلسطينيات عند المعابر . . الإسرائيليون يمارسون أشكالاً من الإيذاء النفسي والبدني للمرأة الفلسطينية على المعابر بشكل مهين، حتى إنه في بعض التقارير ضُربت فتاة على رأسها لإجبارها على خلع خمارها ، مما تسبب بإصابتها بالعمى)[١] .

إجبار النساء على الأكل في رمضان مقابل المرور

(في رمضان تُجبر النساء على أن يأكلن في النهار مقابل أن يُسمَح لهن بالمرور . .)[١] ، (أخطر شيء هو أن تُمنع النساء الحوامل من المرور عبر المعابر حتى يذهبن إلى المستشفيات للولادة، حتى إن امرأة فلسطينية ولدت أمام الجنود، ولم يسمحوا لها بالمرور، وكثير من النساء أجهضن أيضاً على المعابر دون السماح لهُن بالعبور)[١] .

سياسة هدم البيوت والمنازل

(هناك شكل من أشكال المعاناة أيضاً هو معاناة المرأة التي هُدم بيتها ، وهناك عشرات هُدمت بيوتهن . . من النساء الفلسطينيات في الفترة الأخيرة تحديداً ويقوم الاحتلال منذ بدء الانتفاضة بعملية هدم لكثير من البيوت وتشريد لكثير من العائلات، والمرأة تجد نفسها فجأة أصبحت في العراء ، كل شيء دُفن تحت بيتها ولم تخرج إلا بنفسها وأولادها)[١] .

---

(١) نقلاً عن موقع الجزيرة نت الإخباري برنامج (بلا حدود) بتصرف تاريخ الحلقة ٣٠/ ٥/ ٢٠٠١م

من بين الدموع والأطلال والخيام

(من بين الدموع والأطلال والخيام ، والحواجز الإسرائيلية ، والقصف والدمار ؛ تنسج المرأة الفلسطينية أيامها، وتصنع تاريخها وتاريخ أمتها وشعبها، وسط صمت عربي وإسلامي ، وإهمال دولي ، لما تعاني أمهات الشهداء والأسيرات والجرحى، والعائلات اللاتي تهدمت بيوتهن، أو جُرفت حقولهن، أو فَقَدَنْ عائلاتهن، حيث يواجهن كل يوم بصدور عارية وأيدٍ خالية المدافع والدبابات الإسرائيلية، وهن يحملن العزة والكرامة، ويصنعن الحياة والبطولة، ويدافعن عن الأرض والعرض ، بعدما سلك السياسيون طريقاً آخر.

فوراء كل شهيد ، وكل جريح ، وكل طفل ، وكل زوجٍ امرأة، بل إن المرأة الفلسطينية تشارك بشكل مباشر في فعاليات الانتفاضة ؛ حتى بلغ عدد الشهيدات حتى الآن إحدى عشرة شهيدة ، علاوة على أربعة عشرة شهيدة سقطن في العام الماضي، كثيرات منهن أصبن برصاصات في الصدر والرأس، وبينهن أربع طفلات عمر أصغرهن أربع وعشرون يوماً) .[١]

(١) موقع الجزيرة نت الإخباري برنامج (بلا حدود) تاريخ الحلقة ٣٠/ ٥/ ٢٠٠١م

الإرهاب الصهيوني في أرقام

٣٦٤٠ شهيداً بينهم ٦٢٤ طفلاً و٤١ ألف جريح خلال ٤٥ شهراً ما بين ٢٠٠٠/٩/٢٨ و ٢٠٠٤/٧/٣٠م

أعداد الشهداء والجرحى الفلسطينيين بقدر ما تؤكد على إصرار الشعب الفلسطيني في نيل حريته ، واستقلاله وطرد اليهود الغاصبين لبلد الإسلام وتقديمه دمائه رخيصة من أجل هدفه النبيل ، فهي تفضح الطبيعة الدموية والإرهابية للعدو الصهيوني ، وقد أفادت إحصائية فلسطينية أن عدد الشهداء الفلسطينيين الذين سقطوا بنيران قوات الاحتلال الصهيوني منذ الثامن والعشرين من (أيلول) ٢٠٠٠ وحتى الثلاثين من حزيران (يونيو) ٢٠٠٤م ارتفع إلى ٣٣٩٤ شهيداً .

عدا عن ٢٤٦ آخرين لم يتم تسجيلهم بسبب الإجراءات الصهيونية .

ومن بين إجمالي الشهداء ٦٢٤ طفلاً .

٢٣٣ سيدة .

٧٣٢ شهيداً راحوا ضحايا للقصف الصهيوني .

٣٩٦ شهيداً سقطوا في جرائم الاغتيال والتصفية الجسدية بينهم ٢٥٩ مستهدفاً .

٦٧٩ شهيداً من طلبة المدارس والجامعات .

التقرير الصادر عن مركز المعلومات الوطني الفلسطيني

أكد أن قوات الاحتلال الصهيوني قتلت :

٣٤٤ فلسطينياً يعمل في صفوف الأمن الوطني .

٢٢٠شهيداً من أبناء الحركة الرياضية .

١٠٧ شهداء على الحواجز الصهيونية ، بينهم مرضى بالقلب والكلى والسرطان .

٣١ مواطناً من أفراد الأطقم الطبية والدفاع المدني .

٩ من الإعلاميين والصحفيين .

٤٥ مواطناً شهداء جراء اعتداءات المستوطنين .

التقرير الصادر بحق الجرحى

وبلغ إجمالي الجرحى بين أيلول ٢٠٠٠ وحزيران ٢٠٠٤ :

٤٠٩٩٠ جريحاً عدا عن ٨٤٣٥ جريحاً تلقوا العلاج في الميدان .

٤٦٦٤ جريحاً من بين طلبة المدارس والجامعات والموظفين من إجمالي الجرحى .

التقرير الصادر بحق الأسرى من الرجال

أما بالنسبة للأسرى والمعتقلين الذين ما زالوا في سجون الاحتلال بلغ عددهم - حسب التقرير -

٧٣٠٠ أسير منهم :

٥٩٩٦ موثقون لدى وزارة الأسرى وموزعَّون على ٢١ سجناً .

ومن بينهم ١٢٥٢ من طلبة المدارس والكليات والجامعات، منهم ٤٦٣ دون ١٨ عاماً، و١٩٦ معلماً وموظفاً.

فيما يعاني ٨٢٥ أسيراً من أمراض مزمنة.

التقرير الصادر بحق الأسرى من النساء

وبلغ عدد الأسيرات ١٠٠ أسيرة منهن:

٣٩ أسيرة محكومة .

و٥٧ أسيرة موقوفة .

و٤ أسيرات موقوفات توقيفاً إدارياً .

وحول استهداف قوات الاحتلال للمنازل وللبنية التحتية في الأراضي الفلسطينية بيّن التقرير أن:

٦٢٨٨٨ منزلاً تضرر جراء القصف الصهيوني:

بينها ٦٤٦٩ منزلاً تضرر بشكل كلي، منها ٣٨٠٦ منزلاً في قطاع غزة .

وتضرر ٥٨٨٧٥ منزلاً بشكل جزئي منها ١٨٩١١ في قطاع غزة .

ودمرت قوات الاحتلال منذ الأول من تشرين أول ٢٠٠١، ٨٥٩١ ورشة ومحلاً تجارياً.

وقصفت الأحياء السكنية ٢٦٧٧٨ مرة .

فيما أقامت من ذات التاريخ ٢٥٨٢ نقطة وحاجزاً عسكرياً جديداً.

كما تعرض ٥٧٥ مبنى عاماً ومنشأة أمنية للقصف الصهيوني .

فيما أغلق ١٢ مدرسة وجامعة .

وعطلت الدراسة في ١١٢٥ مدرسة ومؤسسة تعليم عالي .

وتعرضت ٣١٢ مدرسة ومديرية ومكتب تربية وتعليم للقصف الإسرائيلي .

وحولت ٤٣ مدرسة إلى ثكنة عسكرية .

الأراضي الزراعية

وقوات الاحتلال التي تتبع سياسة تجريف الأراضي في سياق حربها الوحشية التي طالت البشر والشجر والحجر تهدف إلى تدمير البنية الزراعية الفلسطينية ، وتحويل الأراضي إلى بوادي مقفرة لتدفع بالأهالي إلى الرحيل ، كما أنها تجرّف الأراضي في سياق الاستيلاء المباشر عليها وضمّها إلى المغتصبات المنتشرة في الضفة الغربية وقطاع غزة .

وبلغ مجمل الأراضي المجرفة ٦٥١٤٧ دونماً .

فيما صودر ٢٠٨٥٤٠ دونماً منذ التاسع والعشرين من آذار (مارس) ٢٠٠٣ الماضي لصالح جدار الفصل العنصري .

وتم اقتلاع ١٠٣٤٨٥٢ شجرة .

وهدم ٥٣١ مزرعة دواجن وحظيرة للحيوانات .

وهدم ٥٢١ مخزناً زراعياً .

و١٠٨١ بركة وخزان للمزارع .

و٢٧٢ بئراً بكامل ملحقاتها .

وتجريف أكثر من ٣٢١ ألف متر من الجدران الاستنادية للمزارع والحقول.

وأكثر من ٧٨٠ ألف متر من خطوط المياه.

فيما بلغ عدد المزارعين المتضررين ١١٢٨١ مزارعاً .

وجرف حوالي خمسة مشاتل زراعية بالكامل وتلف ١٢ جراراً.

وقتلت جرافات الاحتلال الصهيوني وطائراتها الحربية خلال القصف العشوائي:

١٣٢٦٤ رأس غنم وماعز .

و١١٧٣٥ من حيوانات المزارع.

وما يربو على ٨٥٦ ألف من دجاج اللحم .

و٣٢٨ ألف دجاج بياض .

وأتلفت ١٠١١١ خلية نحل.

الفصل السادس

ماذا بعد ؟!

- ❖ دور الإعلام في تغطية معاناة المرأة الفلسطينية
- ❖ شكر ووفاء لفاطمة فلسطين

ماذا بعد ؟!

ماذا بعد كل الذي ذكرناه ؟! أليس من الواجب أن نقف مع فاطمة ، وأن ننصرها ونُعينها ، في الوقت الذي فيه تحارَب وتُقمَع بشتى وسائل الإعلام الغربي ، والإعلام الإسلامي المهمل لها ولدورها ؟!

ولا بد أن يستشعر كل المخلصين ، وكل من في قلبه ذرة من خير ، واقع المرأة الفلسطينية ، وأن ينكر الذي يحدث ، وأن يتحرك إعلامياً بالوجه المناسب من موقعه .

نداء إلى كل امرأة وبنت وأخت مسلمة عربية أو غيرها..

من الضروري أن تفهم المرأة - المسلمة أو غيرها - وأن تعي معنى أن تُقْدِم امرأة متزوجة ولها أبناء على الشهادة .

إن هذا المعنى لكبير وعظيم لا ينبغي أن يمر مرور الكرام. . يجب أن نفكر ونعرف أسبابه ، ما هذا التصرف الذي قامت به ؟ في الوقت الذي تحافظ كل أنثى على حياتها ، وتتمنى أن تعيش أجمل اللحظات في هذه الدنيا ، ما الشيء الذي دفعها لفعل ذلك؟

ونداؤنا إلى النساء المسلمات والعربيات بأن يقفن إلى جانب أخواتهن الفلسطينيات ويدعمنهن بكل ما أوتين من قوة ، كلٌّ من موقعها مربية للأطفال ومعلمة للأجيال. . .

قول الحقيقة

يجب أن نقول الحقيقة بقوة وبأعلى صوت : إنه الاحتلال الصهيوني البغيض ، الذي قتل الأم ، وقتل العروس ، وقتل الأخ ، وقتل الطفل ، وقتل الرضيع ، وهدم البيت ، واقتلع الشجر ، . . . إنه الاحتلال. . بكل ما تحمله هذه الكلمة من معاني

الظلم والقهر والاضهاد . .

هذا الاحتلال الذي شوه الحقيقة واستطاع بامبراطوريته الإعلامية ، أن يزيف الحقيقة ، وأن يملي على الناس ما يريد .

لقد أغرق اليهودُ محطات التلفزة ، والفضائيات ، والصحف التي يسيطرون عليها بالأكاذيب ، والمغالطات ، ووصفونا بأننا لسنا أصحاب حق ، وأننا نحن المعتدون .

﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَـٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ۝٥٨﴾(١)

رفعنا أعلامنا في زمن تساقطت فيه الأعلام

إن من أجلِّ الأمور أن نعلم علم اليقين أنّ هؤلاء النسوة الأبطال اللواتي رفعن عَلَمنا في زمن تساقطت فيه الأعلام ، هؤلاء النسوة تخلين عن زهرة أعمارهن وأحلامهن ، لا لأنهن يائسات . . لا ، بل لأنهن على يقين بأن هذا الطريق هو الطريق الصواب ، وأن حقنا أمرٌ لا جدال فيه . . إنهنَّ نساءٌ نَهِلْنَ العِلْمَ من سنة الحبيب محمد ﷺ .

أوَليس أخواتنا ونساؤنا وبناتنا وأطفالنا في زنازين الاحتلال ؟! أين هذه المحطات الفضائية ؟! أين تلك الأبواق التي تتكلم دائماً ، لماذا هي صامتة عن الحدث الجلل ؟! لتتكلم عن شكوى هؤلاء الأسيرات ، وتفضح أمر هؤلاء القتلة والمجرمين .

حسبنا الله ونعم الوكيل ، لعل هذا الكلام أن يحرك تلك القلوب الميتة ، القلوب المنشغلة في هذه الدنيا . المنغمسة في لذاتها وشهواتها . . لاهثة وراء لقمة العيش لتؤمنها لنفسها وللأولاد؛ ناسية أو متناسية ﴿ . . وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَـٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ۝٣﴾(٢) .

---

(١) (الأحزاب : ٥٨) .

(٢) (الطلاق : ٢-٣) .

دور الإعلام في تغطية معاناة المرأة الفلسطينية

في الوقت الذي تؤدي فيه المرأة الفلسطينية دورها ، ويتعاظم هذا الدور ، لا بد للمسلمين أن يتحركوا خاصة في المجال الإعلامي .

أولاً: نداء إلى الاعلاميين

وكم أتمنى على الصحفيين المخلصين منهم والشرفاء ، أن يتحركوا ويذكروا في مقالتهم وتقاريرهم الحقائق كما هي في الواقع من غير تحريف ونقصان، لأن الهجمة الإعلامية هائلة في شتى المجالات ، في الصحف والتلفاز والفضائيات ، لذلك فالمرجو منهم أن يشدوا الهمة ، وألا يتقاعسوا عن نصرة الحق .

ثانياً: الإعلام والمسلمون في الغرب

إن الواجب يحتم أن يتحرك كل مسلم في أي بلد أوروبي كان ، وحتى أمريكا وكل بلاد الغرب ، كلٌ حسب موقعه ؛ خاصة في المجال الإعلامي فهناك الساحة كبيرة ، والمجال أكبر وأوسع ، والسُّبل إلى ذلك كثيرة ؛ منها :

١- نقل الصورة بواقعها الحقيقي للمواطن العادي في الغرب ، وتفهيمهم المسألة ولو بأسلوب مبسط في ظل الهجمة الغربية المكثفة علينا هناك .

٢- محاولة الوصول إلى الصحافة وإرسال تقارير عن معاناة المرأة الفلسطينية ، ومتابعة الأمر وعدم اليأس من هذا الأمر ؛ لأن الصحافة في الغرب لها دورها .

٣- الاستفادة من تقنية الإنترنت الهائلة في الغرب ، وإرسال رسائل في البريد الإلكتروني توضح معاناة الشعب الفلسطيني ، وما تلاقيه المرأة الفلسطينية في ظل الاحتلال.

٤- الاتصال بجمعيات حقوق الإنسان وحقوق المرأة وكل الجمعيات الخيرية الإنسانية في الغرب ونقل الصورة لهم تماماً كما هي في الواقع من تشويه ولا تزييف .

٥- على المثقفين المسلمين في الغرب وخاصة النخب العلمية ، عقد مؤتمرات وندوات ومحاضرات عن طبيعة الصراع العربي الإسرائيلي ، وأيضاً توضيح الرؤية لهم عما يدور من حولهم .

٦- محاولة الوصول إلى الشخصيات الإعلامية في مجتماعتهم وخاصة المشهورين منهم والذين يحظون بحب الناس هناك ، والحوار معهم بطريقة هادفة لنقل الصورة الصحيحة .

٧- استغلال المواسم الانتخابية في الغرب ، وخاصة عند اختيار المرشحين منهم لتقلد المناصب أكانت في رأس الحكم ، أم بلديات ، أم غيرها ، والوقوف إلى جانب من يتفهمون قضيتنا ، وطرح الأمور عليهم بشكل مبسط ، لأن هذا الصنف من الناس لا يفهمون إلا لغة المصالح ، وإذا تمكن العرب - وخاصة المسلمون - من لعب هذا الدور بشكل صحيح ؛ فسوف يكون فعالاً بإذن الله ، فلننظر كيف استغل اليهود هذا الأمر وأصبحوا في كل موقع حساس ومهم في الغرب للإفساد وتنفيذ رغباتهم ، بينما إذا أوصل المسلم أو أوصل الشخص المناسب ؛ فما يكون منه إلا الإصلاح بإذن الله .

شكر ووفاء لفاطمة فلسطين

قفي يا فلسطين . . هنيئاً لك هذا العرس ، وافخري بهذا المجد المتألق في سمائك ، بنات فلسطين يتقاطرن واحدة تلو أخرى ، لقد فهمن الدرس ، وأحببن الشهادة ، شعب مليء بمثل تلك النساء لن يهزم رجالهُ ، هنيئاً لتلك الأم الصابرة التي أنجبت هذه البطلة ، فصبراً يا فاطمة .

لَكَمْ صبرتِ وتحملتِ العناء ، لكم حلمتِ بيوم جميل يخرج فيه عدوك البغيض ، فصبراً وهنيئاً ، فإن ابنتكِ في جنة الخلد إن شاء الله ، عند سيد المرسلين . .

أعلنوا النصر والفخر والفرح يا أهل فلسطين ؛ فهذا عرس لن ننساه . . لن تنسى يافا هذه الزهرة اليانعة ، بحر يافا يزغرد فرحاً عندما يرى أعداءك يهرولون ذعراً وخوفاً . . كم أذَقْتِهم من المرِّ الذي أذاقوه لأطفالنا . .

إن الأقلام لتعجز يا فاطمة أن تكتب عن هذه البطولات . . والله إنكم لفخر هذه الأمة .

صبراً . . سيأتي النصر، ويثمر الشجر، ويزهر الورد في الربيع كما كان ، ستعود الأيام الحلوة ، ستعود يا شجر اللوز ، ستخضر أغصانك، وتزهو بورقك الأخضر الخلاب ، ستغرد العصافير وتصدح فوق أغصانك البلابل .

صبراً . . ما دام هناك خنساء تقدم وتضحي وتدافع .

صبراً . . فأرضك تحيا من دمائك ، فتلك الدماء ما ذهبت هدراً ، فشهر الحصاد يقترب، وورد الحنون يناجي السماء ، ويزداد احمراراً بتلك الدماء الزكية . . دماء

شهدائك من أبناء شعبك الصابر ، ذلك الشعب الذي تربى في ظلك وتحت عينيك يا خنساء الأمة .

قفي يا فلسطين . . فتلك حفيدة صلاح الدين الذي حرر القدس . . ارفعي رأسك في الأعالي واصرخي وانبذي أعداءك ، واكتبي شعراً . . فقد كتب أهل القدس قصيدة لمحررها صلاح الدين يستنجدون به . .

يا أيهـا الملك الـذي   لمعالم الصلبـان نكسْ

جاءت إليـك ظلامـة   تسعى من البيت المقدس

كل المسـاجد طُهرت   وأنا علـى شرفي أُدنس

صلاح الدين . . قرة العين . . حرر الأقصى ، وبلغه النداء . . والآن حفيداته يقمن بهذا الواجب المقدس فاللهم احفظ نساء الإسلام .

وأخيراً

(. . أُطاطىءُ الرأسَ خجلاً وأنا أتأملُ لوحات الدم المسكيِّ . . التي رَسَمَتْها (فاطمة فلسطين) على شكل وردةٍ جوريّةٍ حمراء . . لا يحوزُها إلا فرسان الأيوبيِّ والقسام . .

. . أغطّي وجهي بـ (الطَّرحة) . . وأختبيءُ خلف سرير طفلي الصغير . . خوفاً من أن تراني عينُ (فاطمة) . . فستألني عن دماء (إيمان حجُّو) . . هل ضاعت هدراً ؟ ! .

ولكن . . إن كانت عين (فاطمة) لا تراني . . فإن عين الله لا تنام . .

فاطمة . . يا حجّة الله على الرجال القاعدين . .

لا تسامحيني . . فأنا إن قعدتُ . . لا أستحقُّ عَفْوَكِ الكبير) [1] .

(١) (مقالات وائل البتيري : ص٣٥)

الفهرس



... بيدَ أنَّ اليأسَ ما ينبغي أن يطرقَ بابَ قلبك يا فاطمةَ اليوم، فأنت أنت فاطمةُ اليوم، فإنَّ الحرفَ الذي أضاءَ السَّبيل لك بالأمس - وهو نفسه الحرف الذي استقرَّ في أذُن المعتصم - لم يغبْ عن الدنيا، وسيبقى هو الذي يمشي من أمامك إلى أن يرثَ اللهُ الأرضَ ومَن عليها، إنَّه حرفُ القرآن والسُّنَّة، ولسوف يأتي اليوم الذي يهيِّئُ اللهُ فيه للأُمّة صلاح الدين جديداً، يسمع فيه صوتَك يا عزيزتي يا فاطمة.. كما استمع المعتصم لصوت أختك فاطمة، فتختارينَ صوتَ الاستغاثة الذي تُحبِّين، والمُستغاثَ به الذي تريدين، فتلتقيانِ في فرحٍ غامرٍ في ظلِّ سيفِ معتصم، أو ظلِّ سيف صلاح الدين، ويومئذ، لا يكون لـ (راشيل) إلا أنْ تسرعَ إليكِ بشفاعة حانية شفيقة، تُزْجيها إلى صلاحٍ الطارف الجديد، أو إلى المعتصم التَّالد المجيد، والهجرة والجهاد ماضيان إلى يوم القيامة، سواءٌ من قريب أم من بعيد.

ولكأنِّي بالابن العزيز أحمد التعمري الذي سطَّرت يراعتُه المشتقّة من نفسه الطيِّبة - العاشقة ترابَ أرضه، وهواءَها، وسلواها - هذا الكتاب، واختار له هذا الاسم اللَّطيف المعبِّر عن المأساة ((المأساة الفادحة)) التي جمعَتْ إلى جوفها المظلم الصاخب، وغمطها الرعيب المخيف، شعباً - كلُّ واحد منهم مأساةٌ ضاحيةٌ في وهج الشَّمس الحارقة، وزمهرير الشتاء العبوس - يرقبُ يوماً تبزغُ شمسُه بشيَة من فرح، يُفْزعه إلى مسقط رأسه، ومَدْرَجة قدَمه، فيُبصر ويسمع أنَّ حقَّ (راشيل) قدْ وقعَ في غور من سراب. والله سبحانه يقضي بالحقِّ بين العباد، ويردُّ إلى كلِّ ذي حقٍّ حقَّه، (وسيعلمُ الذين ظلموا أيَّ منقلَبٍ ينقلبون).

أبومالك
محمد إبراهيم شقرة

لماذا نبكي على راشيل
ولا نبكي على فاطمة